

يا عمال العالم، اتحدوا!



النضال ضدّ الحرب الإمبرياليّة ومهمّة الشيوعيّين

أطروحات أقرّها

المؤنّم الشيوعيّ العالميّ السّادس

في موسكو من 17 تموز إلى 30 آب سنة 1928

ترجمة

محمد عليّ العربيّ

نشره النشر الباشفاقيّ العربيّ بيجي

تونس، تشرين الأول 2011

أعمال المؤنّم الشيوعيّ العالميّ السّادس في خمسة أجزاء - الجزء الثاني

الطبعة الرقمية الأولى. تونس، تشرين الأول 2011.

النسخ كاملاً مجاناً رقمياً أو ورقياً.

﴿تمتشق «المدنيّة البرجوازيّة» سيف الذبح دون توقّف. ويتفرّج السقّاحون الإمبرياليون على ضحاياهم دون اكتراث رغم أنّهم يحسّون أنّ الدّم المهدر سيُدفع بالآلاف إلى الثّار. في هذا الزّمن الذي يشتمّ فيه الجميع رائحة البارود والدّم في كلّ أنحاء العالم، وحيث تشتدّ فيه تناحرات الرّأسماليّة إلى أقصاها، وحيث يشتدّ فيه نضال الطبقة العماليّة، وحيث تهبّ الملايين من جماهير المستعبدين في المستعمرات، وحيث تندفع فيه، على الدّوام، قوافل جديدة من المظلومين للدّفاع عن الاتحاد السوفييتي، موطن حركات التّحرّر، في هذا الزمن يظهر في الصّدارة دور الحّيانة الذي تقوم به الاشتراكية-الديمقراطيّة والأمنيّة الثّانية وأنصارها في أمستردام.﴾

المؤتمر الشيوعي العالمي السّادس، البيان، 1928

﴿لم يشهد تاريخ البشرية أبداً، زمناً فيه مثل ذلك التفاق والفسق. كما لم يشهد زمناً فيه فكراً على درجة من القذارة والتضليل مثلما هو عليه فكر الإمبريالية المعاصر «السلمي». إن دور ذلك الفكر إنما هو، في السياسة الخارجية، تحضير الحرب بأكثر الطرق شراسة ووحشية ورجعية وتدميراً. فكلما احتدّ الجري المسعور إلى التسلّح إلا ونشطت جهود أعوانه الرسميين وغير الرسميين لتأليف خطب «سلمية» ووضع اتفاقيات «السلام» وتنظيم الندوات وصياغة مشاريع «السلام» ومقترحات «السلام». إن «عصبة الأمم»، مولود فرساي، وهي أكثر اتفاقيات القرصنة نزقاً في العقود الأخيرة، تخفي حقيقة النشاط الحربي عند أعضائها بصياغة مشاريع نزع السلاح. إن الاتحاد السوفييتي يفضح أحابيلهم وأما أصدقاء السلام العظماء، الذين يرفضون فضح ذلك التضليل الدبلوماسي، فقد أصبحوا مسخرة مقرفة. لقد سقطت أفئدة السلام وأصبح الجميع يرى التكشير الإمبريالي في وضوح النهار.﴾

المؤتمر الشيوعي العالمي السادس، البيان، 1928

خطر الحرب الإمبريالية

فقرة 1

توقع القوى العظمى الإمبريالية، بعد عشر سنوات من الحرب، على اتفاقية كيلودج واطعة الحرب خارج القانون. وتحدثت عن نزع السلاح. وتسعى جاهدة، وهي تدعم زعماء الاشتراكية الديمقراطية العالمية، حتى يذهب في اعتقاد العمال والشغيلة أن هيمنة رأس المال الاحتكاري ستضمن السلام في العالم أجمع.

يفضح المؤتمر الشيوعي العالمي السادس جميع تلك المساعي التي ترمي إلى تضليل الجماهير الشغيلة بكل خزي. ويذكر الطبقة العاملة العالمية والشعوب الكادحة والمضطهدة في العالم أجمع بتجربة السنوات الأخيرة، وبحروب النهب الصغرى المتواصلة التي تقوم بها القوى الإمبريالية ضد شعوب المستعمرات، وبأحداث هذه السنة الأخيرة وما كان فيها من تدخل في الثورة الصينية، واشتداد خطورة الصدام فيما بين القوى التي تحضر لاقتسام الصين من جديد، وتمركز الجيوش في بولونيا، والتهديد المباشر الذي يستهدف استقلال ليتوانيا. ويذكر في ذات الوقت تزايد خطورة وضع الاتحاد السوفييتي الذي يجد نفسه في مواجهة معسكر الإمبرياليين الذي تقف على رأسه إنجلترا. يذكر المؤتمر الشيوعي العالمي السادس بكلّ تلك الوقائع التي تبين جرم سياسة الحرب عند الإمبرياليين، تلك السياسة التي يمكنها أن تتسبب في كارثة عالمية هائلة بشكل مبالغٍ. لقد قدم المؤتمر الشيوعي العالمي السادس تحليلاً للقوى السياسية والاقتصادية التي شرعت في التحضير للحرب المقبلة.

لقد تميّزت التحولات التي حدثت في الوضع العالمي منذ المؤتمر الشيوعي العالمي الخامس باشتداد هائل في خطورة جميع التناحرات الرأسالية، وبتعاظم قوة الاتحاد السوفييتي اقتصادياً وسياسياً بقدر كبير، وبخمو الحركة الوطنية الثورية في المستعمرات وشبه

المستعمرات وفي مقدمتها الصين، نموًا سريعًا، وباشتداد خطورة الصراع الطبقي بين البورجوازية والطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية. يزداد تناحر القوى الإمبريالية من أجل الأسواق وضوحًا أكثر فأكثر. ولكن بالإضافة إلى تلك التناحرات يرثم الصدام الرئيسي الذي يقسم العالم أجمع إلى معسكرين: في الجهة الأولى كل العالم الرأسمالي؛ وفي الجهة الثانية اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الذي تتجمع حوله الطبقة العاملة والشعوب المضطهدة في المستعمرات. الصراع من أجل تحطيم السلطة السوفيتية والثورة الصينية، ومن أجل هيمنة مطلقة على الصين، ومن أجل الاستحواذ على الشوق الروسية؛ أي من أجل إمكانية استغلال الاحتياطات التي لا تخص من المواد الأولية والاستثمارات المتوقفة في تلك البلدان - إن ذلك الصراع هو مسألة على أعلى أهمية عند رأس المال العالمي، وعلى هذه النقطة يقوم الآن خطر حرب إمبريالية جديدة.

فقرة 2

سوف لن تكون الحرب الإمبريالية العالمية المقبلة، فقط حرب آلات تستخدم فيها كميات هائلة من الموارد المادية، وإنما ستطال الملايين والملايين من البشر. وستضرب جواهر سكان البلدان المتناحرة، وستضمحل أكثر فأكثر خطوط التمايز بين الجهة والمؤخرة.

يشير المؤتمر الشيوعي العالمي السادس إلى النمو الهائل في التسلح، والتجديد الكبير في التقنيات العسكرية، وما اتخذ من إجراءات لعسكرة السكان والحياة الاقتصادية في كل البلدان الرأسمالية، وعسكرة إيطاليا الفاشية، والإصلاح العسكري في فرنسا، والقوانين العسكرية التي جادت بها الرجعية في تشيكوسلوفاكيا، وتقوية الاستعدادات الحربية في بولونيا ورومانيا بتوجيه من هيئات أركان القوى العظمى الإمبريالية، وما وقع في ألمانيا من استعدادات لإعادة العسكرة القديمة في أشكال جديدة، والعسكرة العامة في أمريكا، واستعدادات بريطانيا العظمى الحربية في بلدان التاج التابعة لها وفي مقدمتها الهند وغيرها. إن تنافس أمريكا وإنجلترا، من جهة كونهما قوتان بحريتان، يستوجب أسلحة جديدة.

في العسكرية المعاصرة للجهاير، من المهم جدا أن نأخذ بعين الاعتبار واقعا مفاده أن تلك التدابير العامة تمتد إلى الشباب، وتمتد جزئيا إلى النساء، نظريا على الأقل (فرنسا، بولونيا، بلغاريا، إلخ).

نقد
3

في الوقت الذي يواصل فيه الإمبرياليون تسلّحهم وتحضيرهم للحرب التي تفرضها السياسة الخارجية، يشددون من حدة الرجعية داخل بلدانهم. فطالما لم «تمكث» المؤخرة «هادئة» لا يمكن للإمبرياليين أن يتحاربوا. والبرجوازية تتخذ كلّ التدابير لتتقي شرّ مقاومة منظّمة من جانب العمال ضدّ سياسة الحرب.

تتخذ البرجوازية كلّ التدابير لتحصل على تلك «التغطية من المؤخرة». فمن ذلك القوانين المسلّطة على النقابات في إنجلترا والنرويج، والتحكيم المفروض في ألمانيا، ومخطّط موند المتعلّق بتعاون شركات الكيمياء الصناعيّة. والحملة لصالح «السلم الصناعى» والنقابات غير المتسيّسة «مذهب سبنسر في إنجلترا» والشركة المتحدة في أمريكا والنقابات الفاشيّة التابعة للدولة الإيطالية، وقانون عسكرة النقابات زمن الحرب في فرنسا. تهدف تلك التدابير كلّها إلى ضمان تحطيم كامل حركة الطبقة العمالية بقوة السلاح لحظة إعلان الحرب.

كما توجد، على نحو غير رسمي، فرق مسلّحة كـ«الحوذة الفولاذية» في ألمانيا وفي فنلندا و«القتاصة» في بولونيا و«الدفاع الوطنى» في النمسا، إلخ، وجميع هذه التشكيلات يهدف إلى كسر الإضرابات وتحطيم الحركات العمالية لا فقط زمن الحرب، بل زمن التحضير لها أيضا. وترتبط هذه المنظّمات العسكريّة وشبه العسكريّة بعض الرّابطات النسائية في عدد كبير من البلدان. وتدعم القوى الإمبرياليّة العظمى الفاشيّة في جنوب أوروبا الشرقي كما في بولونيا وفي رومانيا؛ ذلك أنّ الطّرق الفاشيّة لها عظيم الأهمية من جهة تحضير الحرب الإمبرياليّة واندلاعها، خصوصا ضدّ اتحاد الجمهوريات السّوفييتيّة الاشتراكية.

وتشتدّ بانتظام خطورة تدابير تشويه وقمع الأحزاب الشيوعية؛ وقريبا، ستجد فروع الأُمّية الشيوعية نفسها ممدّدة بأن ينحصر وجودها على نحو غير شرعيّ في كلّ البلدان الرأسمالية.

فقرة 4

بينما يستمرّ التسلّح والاستعدادات الهائلة للحرب الإمبريالية، تبذل البورجوازية وأنصار السّلم البرجوازيون الصغار الجهد لتضليل الجماهير الكادحة وصرّفهم عن حقيقة الوقائع بخطابات منافقة. وإتّهم يحاولون بانتظام تأليب الطبقة العاملة على الاتحاد السوفيتي بما يروّجونه من روح سلمية وسياسة «السّلم». وسيطلق البرجوازيون في حرمهم المقبلة على الاتحاد السوفيتي الصيحة التالية: «الحرب من أجل السّلم! ضدّ البلشفيّة مدمّرة الحضارة!». تتحدّث البرجوازية وأذناها الاشتراكيون-الديمقراطيون وأنصار السّلم البرجوازيون الصغار، كثيرا، عن نزع السّلاح والأمن والتحكيم؛ إنّ الأمر، على ما يبدو، هو وضع الحرب خارج القانون. لا يمكن لكلّ تلك الثّرة إلا أن نخدم السياسة القوميّة، وما ذلك إلا نفاقا كبيرا.

إن عصابة الأُم التي تألّفت منذ تسع سنين خلت، كجمعيّة من الإمبرياليين للحفاظ على «سلم» فرساي القائم على اتفاقية النّهب ولسحق الحركة الثورية في العالم أجمع، إن هذه العصابة، أصبحت، أكثر فأكثر الأداة المباشرة لتحضير الحرب الإمبريالية ضدّ اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية... فكّل ما قام من تحالفات واتفاقيات تحت رعاية عصابة الأُم لا ترمي إلا لستر تحضير الحرب وتسهيله، خصوصا ضدّ الاتحاد السوفيتي.

فقرة 5

لا يمكن للإمبرياليين أن يواصلوا سياستهم الحريّة إلا بتعاون نشيط مع الاشتراكية-الديمقراطية العالمية. فقد أظهرت حرب 1914-1918 العالمية الإصلاحيين على وجههم الحقيقي كاشتراكيين وطنيين وشوفيين. ومنذ ذلك الحين، شرعت سياسة الاشتراكية-الديمقراطية تتبلور لتصبح اشتراكية-إمبريالية مكشوفة. وأصبح زعماء الاشتراكية-الديمقراطية وقابات أمستردام، في جميع المسائل الفاصلة، لا فقط مدافعين بل مقاتلين

نشطين وطلبة الإمبريالية، ولا يدخرون جهدا لتسهيل تخضير الحرب الإمبريالية ضد اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية كلما وجدوا لذلك سبيلا.

يسعى الزعماء الاصلاحيون لمضاعفة انقسام الحركة العالمية، بتشديد صراعهم ضد الحركة الشيوعية وبإثارة خلافات في النقابات وفي منظمات الجماهير العالمية (في ألمانيا وإنجلترا). إن هذه الأساليب، إضافة إلى إستراتيجيتهم الامهزامية في المعارك الاقتصادية الكبرى، ترمي إلى تقوية البرجوازية، وإلى إضعاف مواقع الطبقة العالمية، وبالتالي تخلق الظروف التي تمكن البرجوازية من خوض حروب إمبريالية جديدة. ويجب على الطبقة العالمية أن تولي أكبر انتباه إلى الطرق التي تحضّر بها الاشتراكية-الديمقراطية الحرب على الاتحاد السوفيتي فكريا. وهذا بعض منها:

أ. تروج خرافات من قبيل «الإمبريالية الحمراء» و«العسكرية الحمراء» ومماثلة الفاشية بالبلشفية، وما شابه ذلك؛

ب. تنشر فكرة مفادها أن الدكتاتورية العالمية ستكون سبب حرب، أو ستكون إحدى أسبابها على الأقل؛

ت. يقدم موقف منافق مفاده أن بالإمكان مساندة السوفييت، لكن مع معارضة الشيوعيين والأمية الشيوعية؛

ث. تروج مواقف امهزامية نحو الحكومة السوفيتية بصيغ «يسارية» مضللة. قدّم لنا خطر الحرب، في هذه السنة الأخيرة، عدّة أمثلة لتطبيق تلك الطرق، خصوصا عند الاشتراكيين-الديمقراطيين في ألمانيا. كما استخدمها حلفاؤهم التروتسكيون، ولم يكن ذلك بأقل وضوح، عندما حدثونا، مثلا، عن «الترميدور» وعن «غزو الكولاك»، الخ. لقد أكد زعماء «يسار» الاشتراكية-الديمقراطية موقف مجلس تنفيذية الأممية الشيوعية الثامن القاضي بأنهم أخطر الأعداء داخل الحركة العالمية تأكيدا تاما بسياسة الخيانة خلال السنة الأخيرة وبسلوكهم في مؤتمر الأممية الثانية في بروكسل؛ إنهم هم الذين ينفذون زعماء اليمين الإصلاحي والبرجوازية بجمل «يسارية» في اللحظات الحرجة. ويعلنون أنّ النظام السوفيتي والحركة الشيوعية عدوّا للجهة العالمية المتحدة، وعدوّا

«السلم العالمي» وحليفاً «الرجعية» حتى يضلّ العقال وتضطرب أفكارهم؛ فيتيسر للبرجوازية تطبيق سياستها الحريّة.

فقرة 6

لقد بينت أحداث السنوات الأخيرة أن الجهة الرئيسيّة لسياسة كلّ القوى الإمبرياليّة تتجه بأكثر وضوح ضدّ الاتحاد السوفييتي والثورة الصينيّة. لكن تناحرات القوى الإمبرياليّة تشتدّ خطورة نتيجة الخلاف فيما بينها على المهمة. فإذا كانت حرب 1914-1918 العالميّة الأولى قد انتهت مباشرة بقيام ثورة عماليّة وانتصارها في الإمبراطورية القيصريّة القديمة، وإذا كانت تلك الحرب قد طوّرت حركة التحرّر في المستعمرات، وأثارت انتفاضات وحركات ثوريّة جماهيرية عماليّة في أوروبا؛ فإن الحرب المقبلة، سنُهنّض حركاتٍ ثوريّة قويّة ستمتد إلى عمال الصّناعة الأمريكيّة، وإلى أوسع جماهير الفلاحين في بلدان الاقتصاد الزراعي وإلى الملايين من سكّان المستعمرات المضطّهدة. إن أزمة الرأسماليّة، والحرب أجلى مظاهرها، يمكنها أن تخلق حركة ثوريّة جماهيرية واسعة حتّى قبل أن اندلاع الصّدام. يجب على الشيوعيّين أن يجمّعوا الجماهير وأن يقودوها في تلك الحركة كما في النضال اليومي حتّى يبلغوا، بأنشطة ثوريّة، كسب السّلطة العماليّة والإطاحة بالبرجوازية وتركيز الدكتاتوريّة العماليّة.

إذا لم ينجح الشيوعيّون في أوروبا في تشديد وتيرة النضال اليومي من أجل مطالب العمال الأكثر إلحاحاً وتحويل ذلك النضال إلى نضال مفتوح من أجل السّلطة والإطاحة بالبرجوازية - فلا يمكن أن يمنع قيام الحرب في الدول الإمبرياليّة الرئيسيّة إلاّ الإطاحة بالبرجوازية -، فإن ذلك النضال الثابت من أجل المصالح المباشرة للشغيلة ممزوجاً بالنضال العام الواجب خوضه ضدّ الإمبرياليّة، سيضعف بدرجة هائلة نشاط الطبقة العماليّة ويخرج البرجوازية سواء في التحضير للحرب أو في ما ستتمهده فيها. ومن الواضح أن محاولات الإمبرياليين شنّ الحرب ستنباطاً نتيجة المظاهرات الجماهيرية للطبقة العماليّة، وسيصبح من الأسهل فيما بعد تحويل تلك الحرب الإمبرياليّة حرباً أهليّة وبالتالي قلب الإمبرياليين. وفي جميع الأحوال، تُظهر الطبقة العماليّة والشراخ الأخرى من الشغيلة، نزوعاً نحو اليسار أكثر فأكثر. وتتطوّر الحركة الوطنيّة الثوريّة في

المستعمرات بصورة هائلة. إن ذلك يخلق قاعدة عريضة لنشر تأثير الأُمِّيَّة الشَّبوعِيَّة ولتقوية نضال الشَّبوعِيَّين ضدَّ كامل سياسة البرجوازيَّة العالميَّة تلك السِّياسة التي تُؤدِّي إلى اشتداد خطورة الاستغلال والاضطهاد مثلما تثير الصَّدامات وتسبِّب في الحروب.



الطبقة العماليّة في مواجهة الحرب

فقرة 7

لا تنفصل الحرب عن الرأسماليّة! ويستوجب النضال ضدّ الحرب، في المقام الأوّل، أن نفهم بوضوح، بأيّ حرب تعلق الأمر، وما هي أسبابها، في كلّ حالة خاصّة. ويجاول الرجعيون تبرير الحرب بتقدمها على أنها ظاهرة طبيعية «لا مفر منها». ولا يقل عنهم رجعيّة أولئك الذين يزعمون الوصول إلى إزالة الحرب بمخططات خياليّة وبجمل جوفاء واتفاقيات وعهود. وتعارض الطبقة العماليّة كلّ ذلك بالنظرية الماركسيّة اللينينية عميقة الفكر، وهي القاعدة العلميّة الوحيدة لنضال فعلي ضدّ الحرب.

إن سبب الحرب الأصلي، من جهة كونها ظاهرة تاريخيّة، لا يكمن في «مبدأ سيّئ» طبيعي وفطري عند البشر، كما لا يكمن في سياسة «سيّئة» تنتهجها الحكومات. وإنما يكمن ذلك السبب في انقسام المجتمع إلى طبقات بعضها يتألّف من مستغلّين وبعضها الآخر يتألّف من مستغلّين. والرأسماليّة هي سبب الحروب في التاريخ المعاصر. وليس في تلك الحرب ما هو غريب، ولا تتعارض وأسس الرأسماليّة والملكيّة الخاصّة لوسائل الإنتاج. كما لا تتعارض ونظام المنافسة والاستغلال: فتلك الحروب هي نتيجتها المباشرة. إنّ الإمبرياليّة، من جهة كونها مرحلة من الرأسماليّة بلغت طور الاحتكارات، تشدّد من حدّة التناحرات إلى حدّ لا يصبح فيه «السلم» سوى استراحة في انتظار حروب جديدة. إنّ مساحة الكون وثرواته الاقتصاديّة (باستثناء الأرض التي قامت فيها الدكتاتوريّة العماليّة) هي كلّها تقريبا موضوع احتكار من جانب عدد ضئيل من القوى العظمى. لكن لما كان التطور الاقتصادي والسياسي في مختلف البلدان لا يتم وفق وتيرة متساوية، نتج عن ذلك ضرورة دائمة لإعادة اقتسام العالم. وفي آخر الأمر، لا يمكن أن يتم هذا الاقتسام إلاّ بحروب تقوم بين القوى الإمبرياليّة الرئسيّة. وفي ناحية أخرى، لا

يمكن الحفاظ على استغلال مئات الملايين من العمال والعبيد في المستعمرات إلا بحروب الاضطهاد يهدر فيها الكثير من الدم.

لا تفصل الحرب عن الرأسمالية: إذن، لا يمكن القضاء على الحرب إلا بالقضاء على الرأسمالية. إذن يجب الإطاحة بطبقة الرأسماليين المستغلين، ووجب تركيز الدكتاتورية العالمية ووجب بناء الاشتراكية وأن نصل إلى إزالة الفوارق الطبقيّة. إن كلّ نظرية أخرى وكل اقتراح آخر مهما ظهر «واقعيًا» إنما هو تضليل ولا يمكنه إلا أن يطيل عمر نظام الاستغلال والحروب.

لذا، تلفظ اللينينية كلّ النظريات السلمية حول «إزالة الحرب» من النظام الرأسمالي، وتبيّن للجماهير العالميّة وكل المضطهدين الطريق الوحيد الموصل إلى الهدف: الإطاحة بالرأسمالية.

فقرة 8

لكن من غير الممكن قلب الرأسمالية دون عنف، ودون انتفاضة مسلّحة ودون جملة من الحروب تشنّها الطبقة العالميّة على البرجوازية. ففي المرحلة الراهنة، مرحلة الحروب الإمبريالية والثورة العالميّة، لا مفر، مثلما بيّن ذلك لينين، من أن تشنّ الطبقة العالميّة حروباً أهليّة على البرجوازية، ولا يمكن تفادي حروب تشنّها الدكتاتورية العالميّة على الدول البرجوازية والرأسمالية العالميّة، ولا يمكن تفادي حروب وطنية ثورية تشنّها الشعوب المضطهدة ضدّ الإمبريالية. لهذا السبب على وجه التّحديد، لا يمكن للطبقة العالميّة الثورية خلال نضالها في سبيل الاشتراكية، ولوضع حدّ لجميع الحروب، أن تعلن أنّها ضدّ كلّ حرب دون تمييز.

«تنجح» كلّ حرب، على وجه الحصر، عن سياسة طبقات معينة تلتجئ في ظروف معينة إلى «وسائل أخرى»، وإلى أساليب عنف أخرى. لذا، وجب على الطبقة العالميّة أن تحلّل بعناية المعزى التاريخي والسياسي والمعنى الطبقي لكلّ حرب معلنة، ووجب عليها أن تقيم دور الطبقات القائدة في كلّ البلدان المتأخرية من وجهة نظر الثورة العالميّة العالمية، بانتباه خاصّ.

تفرض علينا المرحلة الرَّاهنة أن نُميِّز بين ثلاثة أنواع من الحروب: أوَّلها حروب بين الدول الإمبرياليَّة نفسها؛ وثانيها حروب الثَّورة المضادَّة موجَّهة ضدَّ الدول العالميَّة حيث تشيِّد الاشتراكيَّة؛ وثالثها حروب وطنيَّة ثوريَّة أساسا في المستعمرات، ضدَّ الإمبرياليَّة، وهي حروب تقاوم ما تمارسه تلك القوى من اضطهاد وعدوان. في الحالة الأولى، (ولنا منها مثال تقليدي وهو حرب 1914-1918 العالميَّة الأولى) يخوض الطرفان حربا إمبرياليَّة رجعيَّة.

في الحالة الثانية، (مثال ذلك التدخُّل ضدَّ روسيا السُّوفييتيَّة في 1918-1921) وحدهم الإمبرياليون يخوضون الحرب الرجعيَّة، وفي مواجَّهتهم تخوض الدكتاتوريَّة العالميَّة حربا ثوريَّة في سبيل قضيَّة الاشتراكيَّة وفي صالح الطبقة العالميَّة العماليَّة. في الحالة الثالثة، (مثال ذلك الحرب التي شتَّها الإمبرياليون على الثَّورة الصَّينيَّة) وحدهم الإمبرياليون يقومون بالأنشطة الرجعيَّة والنهب، لكن الحرب التي يخوضها السكَّان المضطَّهَدون على الإمبرياليَّة هي حرب عادلة وهي إحدى وسائل توسُّع الثَّورة العالميَّة العماليَّة.

بعد تحليل طابع كلِّ حرب بروح ماركسيَّة على هذا النحو، تحدَّد الطبقة العالميَّة موقفها المبدئي وتكتيكها. تناضل الطبقة العالميَّة، خلال حرب بين الإمبرياليين، ووجهة نظرها، حينئذ، هي هزيمة حكومتها وتحويل الحرب الإمبرياليَّة حربا أهليَّة على البرجوازيَّة. وتقبل الطبقة العالميَّة في البلدان الإمبرياليَّة الموقف المبدئي ذاته إذا ما تعلق الأمر بحرب اضطهاد موجَّهة ضدَّ حركة وطنيَّة ثوريَّة، وخاصة السُّعوب المستعمرة. كما يجب على الطبقة العالميَّة أن تسلك ذات السلوك إذا ما تعلق الأمر بحرب إمبرياليَّة مضادَّة للثَّورة تهدد الدكتاتوريَّة العالميَّة. وتدافع الطبقة العالميَّة في ذات الوقت، عن جميع الحروب الوطنيَّة الثوريَّة وتخوضها. كما تدافع عن حروب الاشتراكيَّة على الإمبرياليَّة وتخوضها وتنظِّم الدِّفاع عن كلِّ ثورة وطنيَّة والدِّفاع عن كلِّ دولة قامت فيها الدكتاتوريَّة العالميَّة.

طالما لم تركز الطبقة العمالية دكتاتوريتها، وجب عليها، كي تحدد تكتيكها زمن الحرب في بلادها، أن تحلل بعناية وبالتفصيل الحرب التي تدور وكل طور من أطوارها. فمن الممكن أن تتحول حروب وطنية حروبا إمبريالية.

لا يعوض تحليل طابع حرب بسماها الشكلية والمظاهر ومثل ذلك أن نعتبر أن الأمر يتعلق باعتداء. ففي حرب 1914 على سبيل المثال كان من العيب أن نأخذ مثل تلك المظاهر بعين الاعتبار. فلا يخدم ذلك إلا خداع الجماهير.

ويجب، خلال حروب القوى الإمبريالية على الدول الثورية، أن نتناول مسألة تلك المظاهر العدوانية لا من جهة إستراتيجية، وإنما من جهة المعنى التاريخي والسياسي. فمن يبدأ بالهجوم ليس بالضرورة هو من يقوم بحرب ظالمة. فالظلم يأتي من جانب من يمثل الرجعية والثورة المضادة والاستغلال والإمبريالية ضد ثورة وطنية أو عمالية.

يمكن تطبيق حجة الاعتداء تطبيقا أخرق. وقد قدم الاشتراكيون الفرنسيون مثلا لذلك عام 1925 عندما وقفوا إلى جانب الدولة الفرنسية التي أعلنت الحرب على المغرب الأقصى المنتفض. وقد زعموا، حينئذ، أن المغرب الأقصى هو المعتدي. وذلك ما كان فعلا. والموقف عينه اتخذته الإمبرياليون الاشتراكيون الإنجليز (حزب العمل) عندما تدخلت بريطانيا العظمى في الصين عام 1927. فقد تحدثوا، حينئذ، على «حماية الرعايا البريطانيين وممتلكاتهم».

إن الموقف المبدئي الذي تتبناه الطبقة العمالية والذي يحدد كل حرب تحديدا خاصا، ينبج عنه الموقف الذي يجب أن تتخذه أيضا في مسألة «الدفاع عن الوطن». ليس للطبقة العمالية وطنا طالما لم تستولي على السلطة السياسية ولم تجرد المستغلين من وسائل الإنتاج. إن مصطلح «الدفاع عن الوطن» هو واحد من تلك المصطلحات التي تعترضنا دوما في جميع الأوساط والتي تصلح بكل بساطة لتبرير الحرب. عندما يكون للطبقة العمالية دولة عمالية تناضل ضد الإمبريالية، على العمال حينئذ واجب الدفاع عن وطنهم الاشتراكي. وفي الحروب الوطنية الثورية، يجب على الطبقة العمالية أن تدافع عن بلدها ضد الإمبرياليين. لكن في الحروب الإمبريالية، يجب على الطبقة العمالية أن ترفض

بكل ما أوتيت من قوة «الدفاع عن الوطن» الذي إن هو حينئذ إلا دفاعا عن المستغلين وخيانة للاشتراكية.

الطبقة العماليّة نناضل ضدّ الحروب الإمبرياليّة

النضال ضدّ الحرب الإمبرياليّة قبل نشوبها

فقرة 11 يختلف نضال الشيوعيين ضدّ الحرب الإمبرياليّة عن شتى ضروب سياسة الإصلاحيين اختلافا جذريًا. ولا يفصل الشيوعيون النضال ضدّ الحرب عن النضال الطبقي. فنضال الطبقة العماليّة من أجل السّلم هو جزء من عملها العام في سبيل الإطاحة بالبرجوازية. ويعلم الشيوعيون أن الحروب الإمبرياليّة حتمية طالما لا تزال سيادة البرجوازية قائمة.

إن الذين يقدرّون هذا الاتجاه الموضوعي الذي يسير فيه التاريخ ربما يستنتجون من ذلك أنّ من العبث النضال ضدّ الحرب نضالًا خاصًا. أكثر من ذلك: يتهم بعض الاشتراكيين-الديمقراطيين الشيوعيين بتشجيع الحروب الإمبرياليّة على أمل حفز الثورة. تنطوي الفكرة الأولى على خطأ. أما الثانية فهي ذريعة حمقاء.

إنّ الشيوعيين، فضلًا عن كونهم مقتنعين بأنّ الحرب الإمبرياليّة حتمية، يبذلون الجهد قصد النضال بكل الوسائل ودون كلل ضدّ الحرب الإمبرياليّة واستباقها بالثورة وذلك في صالح الجماهير العماليّة وكل الشغيلة الذين تفرض عليهم تلك الحروب أثقل التضحيات.

يبذل الشيوعيون في ذلك النضال الجهد ليجتمعوا الجماهير حولهم؛ فإن لم يستطيعوا منع قيام الحرب على ذلك النحو، حاولوا على الأقل تحويلها حربًا أهليّة للإطاحة بالبرجوازية.

فقرة 12 إن أولى واجبات الشيوعيين في النضال ضدّ الحرب الإمبرياليّة، هو أن يزيحوا الستار الذي تحضّر البرجوازية من وراءه الحرب. وأن يشرحوا للجماهير الوضع الحقيقي. وذلك

يعني قبل كل شيء أنه يجب خوض أشرس نضال ضدّ نزعة السلم في السياسة والتحريض.

يجب على الشيوعيين أن يقدروا بعناية وأن يميزوا بوضوح كلّ ضروب النزعة السلمية التي يمكن أن تقدمها كما يلي ذاكرين ما هو رئيسي منها:

أ. هنالك نزعة السلم الرسمي، تستخدمها الحكومات الرأسمالية لإخفاء تحركاتها وخطتها عن بعضها البعض وعن الاتحاد السوفييتي (عصبة الأمم، ندوات نزع السلاح - وضع الحرب خارج القانون، الخ...).

ب. وهنالك نزعة السلم التي عند الأمية الثانية (هيلفردينغ، بول بنكور، ماكديونالد) وليست هذه النزعة إلّا جزء من النزعة السلمية عند مختلف الحكومات لكنها تزيّن بلاغتها بجمل «اشتراكية» وحتى «ماركسيّة».

ت. وهنالك نزعة السلم «الجذري» أو «الثوري» الذي يقرّ بأحوال الحرب ولا يعارضها إلّا بحجّات، وغالبا ما يفرط أصحابها في الحديث عن قوّة التدمير وتقدّم الأسلحة، ويهدفون من ذلك إلى أن يبينوا أنّ الحرب المقبلة إنما هي مستحيلة أو يستحيل، على الأقل، تحويلها حربا أهلية.

ث. وهناك نزعة السلم الممقّنة بالدين وهي تتركز على حركة دينيّة.

يجب على الشيوعيين، خلال نضالهم ضدّ نزعة السلم، أن يقوموا بتمييز جيّد بين نزعة السلم البرجوازيّة وأخطاء الجماهير الشعبيّة. فالجماهير الشعبيّة تعارض الحرب، ومستعدّة لمنعها، لكنها لا تعرف بعدّ الطريق المؤدّي إلى الهدف وهو طريق الثورة. إذن، هي ضحيّة عجز ممثلي مختلف التوجّهات السلمية. وعلى الشيوعيين واجب أن يفسّروا للجماهير أخطاءها دون كلل، وأن يسيروا بها إلى الجبهة الثوريّة من أجل النضال ضدّ الحرب. لذلك وجب عليهم أن يناضلوا بجّد ضدّ كلّ أكاذيب أنصار السلم وأن يفضحوا دون كلل أكاذيب المنظّمات التالية:

ج. يلعب «السلم التعاوني»، تحت هذه التسمية دورا خاصا: إنّه يتركز على «الحلف التعاوني العالمي» وعلى «الجمعية التعاونية النسائيّة العالميّة» في لندن. ويمكن أن نظيف إليها منظّمات البرجوازيّة اليساريّة مثل «رابطة النساء العالميّة من أجل السلم والحرية».

كلما أصبحت أهوال الحرب قريبة وبديهية إلّا وازداد خطر تلك النزعة التي تسمى «السلام الجذري» وهي ممثلة الآن خاصة في «يسار» الاشتراكيين-الديمقراطيين في عدّة دول صغيرة (منها هولندا والنرويج). في هذه التوجّهات تقدّم شعارات مصاعة في جملة جميلة مثل «لتذهب الحروب إلى غير رجعة» و«لنقاطع الحرب» و«إضراب عسكري» وغيرها. وهي جمل يستخدمها الزعماء الإصلاحيون على نطاق واسع لتضليل الجماهير. وعلى هذا النحو تتحدث أممية أمستردام النقاوية عن إضراب عام).

إن توصيات لينين لوفد السوفييت النقاوي المتوجّه إلى ندوة السلام في لاهاي في كانون الأول 1922 تجلب حقًا كلّ انتباه الرفاق إلى النضال الذي يجب خوضه ضدّ هذا الضرب من السلم. ولهذه التوصية، اليوم، كامل قيمتها لأنه لا تزال حتى في صفوف الأحزاب الشيوعية، بشكل عفوي، أحكام مسبقة قويّة وانحرافات في هذه المسألة. لذا وجب:

أ. التحرك ضدّ جمل ساخنة مثل: «نحن لا نتساهل أبدا مع الحرب». فلا يجب على الشيوعيين أن ينكبوا على تصحيح تلك الشعارات فحسب، بل يجب عليهم خوض نضال نشيط ضدّ ذلك التحريض بفضح المبشرين به وبشرح طبيعته الحقيقية الذي إنما هو إخفاء التحضير للحرب. كما يمكن أن نقول أكثر من ذلك في كثير من الحالات عن شعار «الحرب على الحرب» الذي يعلنه الاشتراكيون-الديمقراطيون كوعد من باب التفاق لتضليل الجماهير.

ب. يجب النضال ضدّ اقتراحات المسلمين «الجذريين» الذين يزعمون صدّ الحرب. ولا يجب على الشيوعيين أن ينكبوا على فضح أولئك الناس بوصفهم ثرثارين لا يقومون بشيء لتحقيق اقتراحاتهم ذات الجذرية الجميلة (إضراب عام، إضراب عسكري)، وإنما يجب على الشيوعيين أن يبينوا كامل خطأ تلك الاقتراحات السلمية وكامل صيانتها، مفسرين للجماهير الوضع الحقيقي الذي تندلع فيه الحرب. ومبيّنين كيف يستحيل حصر النضال في طرق معينة وكيف من اللازم اللجوء إلى جميع أشكال الصراع الطبقي.

ت. يجب خوض نضال صلب ومعارضة كلّ مظاهر عدم الاكتراث بخصوص موضوع أهوال الحرب في صفوف أحزابنا الشيوعية. فلذلك النضال ضرورة خاصّة تجاه الأخطاء

التي تقترفها عناصرنا في مقالاتها الصحفية وخطاباتها البرلمانية. ولا يُقبل السكوت عن أخطاء من هذا القبيل في أي حال من الأحوال.

فتحة
14

يجب على الشيوعيين، في الوقت الذي يناضلون فيه ضدّ النزعة السلمية ويعارضون فيه الجمل «الثورية» الملقاة بكل خفة، تحقيق عدد معين من مهمات التحريض والدعاية خلال نضالهم ضدّ الحرب الإمبريالية. فيما يلي تلك المهمات:

أ. عليهم أن يرفضوا، في الوقت المناسب، السفسطة والجمل التي بواسطتها تحاول البرجوازية والاشتراكية-الديمقراطية تبرير الحرب. ونشير في صدارة هذا الاتجاه إلى شعار «الدفاع عن الوطن». فقد بينت الحرب التي شنت على الصين عام 1927 ما يمكن أن تعنيه شعارات من قبيل «الدفاع عن الرعايا والممتلكات» و«حماية التجارة» و«شرف العلم» وغيرها. وقد تحدثت دول الوفاق عن «عسكرية بروسية» قصد إثارة الجماهير. وتحدثت القوى الأوروبية عن «النضال ضدّ القيصرية». وفي حرب مقبلة تخوضها إيطاليا ضدّ فرنسا أو يوغسلافيا سيقع الحديث عن «نضال ضدّ الفاشية الرجعية». وستستعمل البرجوازية الفرنسية أو الصربية الشعور المعادي للفاشية عند الجماهير لتبرير حرب إمبريالية. كما ستزعم «إيطاليا» أن شبه جزيرتها مكتظة بالسكان وهناك ضرورة طبيعية للتوسع وإلى غير ذلك قصد قبول سياسة القوة التي تمارسها. لم تنخرط الأحزاب الشيوعية بعد في فضح هذه الأكاذيب بشكل كاف.

ب. «يجب أن نفسر دون كلل، وبجد، وبصورة أكثر حسية قدر الإمكان، كيف تمت الأمور في الحرب الأخيرة، ولماذا لم يكن من الممكن أن تكون على نحو آخر. يجب أن نبين، بوجه خاص، أن «الدفاع عن الوطن» سيكون موضع تساؤل بالضرورة، وأن الغالبية العظمى من الجماهير ستحلّ هذا التساؤل من وجهة نظر البرجوازية.» (لينين)
«يجب علينا، مستخدمين تجربة الحرب السابقة، أن نفهم أن عددا لا يحصى من الأسئلة النظرية والعملية سيطرح غداة إعلان الحرب. وأن غالبية المعنيين العظمى ستكون في وضع يستحيل عليها فيه درس تلك الأسئلة بقدر معين من التعمق والوعي والتمحيص.» (لينين)

﴿يجب أن فسرّ للناس حقيقة الظروف التي ينشأ فيها كابوس الحرب وعجز المنظّمات العماليّة، حتّى الثوريّة منها، أمام حرب محدّقة.﴾ (لبنين)

لقد كان البلاشفة، الذين لهم منظمة سرّية عتيّدة، الحزب الوحيد الذي أمكن له أن يواصل عملاً ثوريا أثناء الحرب. لكنهم لم يستطيعوا أن يمنعوا الجماهير من قبول شعار البرجوازي: «الدّفاع عن الوطن» ولم يستطيعوا أن يمنعوا الحرب، رغم أن صراع العمال الطبقي في روسيا كان قد اتّسم بنهوض هائل، وبعد أسابيع فقط من إعلان الحرب ظهرت المتاريس في شوارع بطرسبورغ. يجب قبل كلّ شيء تقديم تفسير جدي للضغوط الهائلة التي تترتب عن نضال فعلي ضدّ الحرب وعندئذ فقط يمكن درس مسائل تكتيك ذلك النضال.

ت. وأخيرا، يجب أن نشرح للجماهير العماليّة شرحا مفصّلا تجربة الحرب العماليّة الأخيرة (1914-1918) ومختلف التوجّهات التي كانت، وقتئذ، في الحركة العماليّة ونضال البلاشفة ضدّ الحرب وشعارهم الأساسي: «تحويل الحرب الإمبرياليّة حربا أهليّة».

فقرنة
15

يجب مزج هذا العمل التحريضي والدعائي، على نحو صحيح، بالنشاط الثوري اليومي الذي يقوم به الحزب بين الجماهير. وفي ما يلي أهمّ واجبات النضال ضدّ الحرب الإمبرياليّة قبل نشوبها:

أ. يجب أن يستهدف عمل الحزب في المؤسّسات والنقابات، قبل كلّ شيء، الفروع الصناعيّة اللازمة لتحريك الحرب ومسارها: التعدين والمنتجات الكيماوية والنقل. ويجب أن نولي أهميّة جدّ خاصّة للتطبيق الصحيح للجبهة العماليّة المتحدّة التي يجب تقوية نتائجها على شكل منظمات ولجان عمل وغيرها.

ب. نظرا لكون طبقة الفلاحين في معظم البلدان، هي التي تمثل ثقل الجيش، يجب الاهتمام بوجه خاصّ بالدعاية المعادية للعسكرة بين الفلاحين. إن هذا العمل سيسهّله كره الحرب الذي يتصلّب في جميع أنحاء الريف. إن البرجوازيّة تسعى جاهدة لتحتفظ على تأثيرها على الريف وإثارة «كفاحية» الفلاحين. وهي تلجأ في ذلك إلى تدخّل المالكين العقاريين والفلاحين الأغنياء ومنظمات قدماء المقاتلين والصحافة والكنيسة

ومختلف الطرق الفاشية والسلمية. وعلى الشيوعيين أن يعارضوا ذلك النشاط بنشاطهم الخاص في المدن وذلك بتشديد حدة الصراع الطبقي. ويجب عليهم أن يقوموا بدعاية ضد الحرب بين الجماهير الفلاحية مرتكزين على تجربتها في الحرب العالمية ومازجين تلك الدعاية بمطالب الفلاحين الفقراء الاقتصادية. ويجب عليهم شرح موقف الطبقة العاملة من الحرب ويجب عليهم أن ينشئوا فرقا للعمل في نقابات الفلاحين الرجعية. ويجب عليهم أن ينظموا ندوات للفلاحين الفقراء ضد الحرب وأن يأخذوا مصالح أولئك الفلاحين الفقراء الخاصة خلال الدعاية في الجيش بعين الاعتبار.

ت. يجب أن تلعب الحركات الوطنية الثورية في البلقان وبولونيا وغيرها دورا عالي الأهمية في النضال ضد خطر الحرب الإمبريالية وفي تحويل الحرب الإمبريالية حربا أهلية. وفي هذه البلدان يجب أن يرتبط فيها النضال ضد خطر الحرب الإمبريالية بالنضال ضد الإقطاع وضد الاضطهاد القومي قصد تطوير الثورة الزراعية والوطنية.

لهذا السبب يصبح مشكل خلق وتوسيع التحالفات الثورية من العمال والفلاحين والقوميات المضطهدة المعادية للرأسمالية وأهوال الحرب الإمبريالية، على أهمية قصوى عند الأحزاب الشيوعية.

ث. إن العمل بين الشباب وفي مقدمتهم الشباب العمالي، إنما هو مسألة ذات أهمية فاصلة. يجب على كل الشيوعيين، وليس فقط منظمات شبيبتنا، أن يناضلوا بأكثر ما يمكن من الحيوية ضد المنظمات الرياضية البرجوازية والمنظمات الفاشية والمدارس العسكرية، وغيرها التي تحصر فيها البرجوازية الشباب للحرب الإمبريالية.

يجب، بعد ذلك، النضال ضد تخضير الشباب عسكريا قبل الدفع به في الثكنات مثلما يقع ذلك في البلدان البرجوازية. وحيثما كان ذلك التخضير إجباريا، إلا ويدعو الشيوعيون الشباب العمالي للانخراط فيها وينظمون في ذلك التكوين دعاية لتنوير الشباب وإثارة حلّ المنظمات العسكرية البرجوازية. ويجب أن يقوم نفس العمل في منظمات المتطوعين وجمعيات المواطنين التي تهدف التخضير العسكري. ولأجل ذلك، توفد الأحزاب الشيوعية وقيادة الشبيبة بعض العناصر الأعضاء إلى تلك المنظمات، لكن لا يجب على الشيوعيين أن يطلبوا من الشباب العمالي أن يدخلوها، بل يطلب

منهم أن يدخلوا منظمات الدفاع العالي أو أن يخلقوا منظمات مثل تلك التي عند المتطوعين والمواطنين.

ج. نظرا لأهمية دور النساء في الصناعة وخصوصا في حالة حرب، فإن العمل بين العائلات وزوجات العمال يصبح له أهمية خاصة. ويجب مكافحة ما يمكن أن يحدث الإمبرياليون فيمن من تأثير من خلال منظمات برجوازية صغيرة. لذا وجب تنظيمهن في نقابات وتجمعات جماهيرية عمالية أخرى. ويجب أن تأخذ مخططات تجنيد النساء باهتمام خاص. وأن يولى انتباه كبير إلى تعاطف تأثير المنظمات البرجوازية السلمية والدينية والقومية على النساء (إن ذلك واقع). ولا يقبل أي تهاون في هذه الدعاية. ولا يمكن حصر القيام بهذا العمل على النساء الشيوعيات. إن ذلك خطأ في التقدير يجب التخلص منه بكل الوسائل.

ح. العمل المعادي للعسكرية. العمل في الجيش والأسطول، بين المجتدين والاحتياطيين وفي منظمات الدفاع البرجوازية، حيث يجب أن يكون حضور العناصر العمالية جد قويا. كل ذلك إن هو إلا كلا عضويا يمثل عملا ثوريا يقوم به الحزب بين الجماهير لا بد أن يمتد إلى جميع العمال.

لقد رأى لينين أن «الوسيلة الوحيدة» لمواصلة كامل العمل الثوري بعد إعلان الحرب إنما هي خلق منظمة سرية. ويجب أيضا أن تكون هنالك منظمة غير شرعية للنضال ضد الحرب حتى قبل إعلان الصدام. وإن ذلك لمن أهم المشاكل، ولم تقع دراستها عمليا إلى الآن إلا بشكل غير كاف؛ فقد أهملت كثيرا ولم ينظر فيها بوضوح. وفي بعض الحلقات في العديد من أحزابنا، لا يزال هناك الاحتفاظ بحكم مسبق واضح الانتهازية مفاده أن يعهد بعمل الدعاية المضادة للعسكرة إلى الشباب ومنظمات خاصة فقط، وكأن العمل في الجيش ليس واجبا على كامل الحزب. ويجب التحرك بصرامة ضد هذه الطريقة في النظر والشروع منذ الآن في العمل وفق روح تعاليم لينين. والمهمات الواجب تحقيقها هي:

أ. توسيع ما لنا من خلايا في الورشات والمصانع التي نتيجة للإرهاب الذي يمارسه الأعراف والأنظمة البوليسية وفي ظروف محدّدة، يجب عليها كلّها أن تتحول إلى اللاشعورية وإلى وضع سرّي. يجب القيام بكل شيء لتحصير ذلك؛

ب. تحضير الأجهزة القياديّة وجماز الربط وكذلك أجهزة صحافة الحزب التي يجب ضمان سيرها حتّى في ظلّ نظام إرهاب أعلى.

يجب على الأحزاب الشيوعيّة، في الوقت الذي لا يتخلون فيه عن استغلال ما توفّره لهم الشرعيّة من إمكانيات، أن ينخرطوا منذ الآن، وبشباط شديد، في درس تلك المشاكل. وإذا ما أهملت الأحزاب الشيوعيّة هذا الواجب، فإن نظام القمع الذي من المؤكّد أنه سيقوم لحظة إعلان الحرب والذي قد بدأت تظهر ملامحه في أغلب البلدان، سيُخدم منظمات الحزب ويقضي على منابع أساسيّة لنضال ثوري ضدّ الحرب.

خاتمة
17

يجب على الأحزاب الشيوعيّة أن تركّز جهودها الآن على تحضير الجماهير وكسبها وتنظيمها من أجل النضال ضدّ الحرب الإمبرياليّة. ولا يجب الاقتصار في معارك الطبقة العماليّة والعناصر الكادحة الأخرى ضدّ تقوية الاستغلال والاضطهاد (حول مسائل الأجور، وساعات العمل، والضرائب، والسكن، والسياسة الاجتماعيّة، والحيف، والقمع وتعاضل الخطر الفاشي) على المطالب الآنية لوحدها بل يجب أن تكون دوماً مرتبطة بوضوح بالنضال ضدّ سياسة الحرب الإمبرياليّة. فجميع المسائل الهامة في السياسة الخارجيّة والتسلّح ووضع موارد عسكريّة جديدة وغيرها، يجب أن تخضع للدراسة من جانب الجماهير وأن تستخدم لشنّ مظاهرات ثوريّة. ويجب على الحزب الشيوعي، في هذا النضال، ودون أن يكف عن تقييم قواه بصحّة، أن يقف في مقدّمة الجماهير بكل جرأة وصلابة. ويجب عليه أن ينظّم مظاهرات، وإضرابات واحتجاجات ضدّ سياسة الحرب التي تسلكها البرجوازيّة الإمبرياليّة، وأن يضع أمام الجماهير، وفي الوقت المناسب، مسألة الإضراب العام وأشكالاً أخرى من النضال أكثر جديّة.

النضال زمن الحرب الإمبريالية

فقيرة
18

برنامج الشيوعيين السياسي زمن الحرب الإمبريالية هو ذات البرنامج الذي صاغه البلاشفة وطبقوه بقيادة لينين خلال النضال البطولي ضد الحرب العالمية الأولى. والنقاط الجوهرية في ذلك البرنامج هي:

أ. رفض الدفاع عن الوطن الإمبريالي في مثل تلك الحرب. فيفسر للعمال والفلاحين ما لتلك الحرب من طابع رجعي. وتكافح بكل قوة كلّ توجهات الحركة العمالية التي تحاول تبرير الحرب بشكل مكشوف أو ملتويا؛

ب. الامهزمية: المساهمة في هزيمة الحكومة الإمبريالية التي يتعلّق بها الأمر في كلّ بلد؛
ت. روح أممية حقيقية: لا بجمل «أممية» و«اتفاق» شكلي محض، بل بعمل ثوري حقيقي «انهزامي» من جانب الطبقة العمالية في جميع البلدان المتحاربة، عملا يهدف في كلّ بلد إلى الإطاحة بالبرجوازية القائدة؛

ث. تحويل حرب الدول الإمبريالية حربا أهلية تخوضها الطبقة العمالية ضدّ البرجوازية من أجل الدكتاتورية العمالية والاشتراكية بمظاهرات ثورية جماهيرية في المؤخرة وبأخوة في الجبهة؛

ج. يستحيل أن يقوم سلم «عادل» أو «ديمقراطي» إثر حرب إمبريالية إذا لم يُطخ بالبرجوازية وإذا لم تنسلّم الطبقة العمالية السلطة في البلدان المتحاربة الرئيسية.

لذا، لا يجب أن يكون الشعار شعار السلم بل شعار الثورة العمالية. ويجب على الشيوعيين أن يناضلوا بقوة ضدّ كلّ الجمل التي تبشّر بالسلم وهي جمل تصبح في وقت معين الأداة الفكرية الرئيسية بيد البرجوازية لمنع تحوّل الحرب حربا أهلية.

لا يمكن حصر العمل في الدعوة إلى هذا البرنامج. فمن الضروري كسب الجماهير العمالية للنضال في سبيل هذا البرنامج بتطبيق تكتيك الجبهة المتحدة من القاعدة.

فقيرة
19

«تحويل الحرب الإمبريالية حربا أهلية»، إنما يعني ذلك، في المقام الأول، أن تكون هنالك مظاهرات ثورية جماهيرية. ويرفض الشيوعيون، باقتناع، استخدام كلّ ما يزعم

أنها «وسائل» نضال ضدّ الحرب التي تمنع تطوير المظاهرات الثورية الجماهيرية. ويرفضون أيضا الأعمال الفردية التي لا ترتبط بالعمل الثوري الجماهيري أو لا تسهّل تطوّره. وهم يناضلون ضدّ هذه الصفات «المضادة للحرب» التي تنبع بين العناصر البرجوازية الصغيرة في الحركة العمالية مثل «رفض حمل السلاح» و«رفض إطلاق النار»، إلخ. إن هذه الوسائل البائسة لا تزال محبذة بين الجماهير. والعمال يعتقدون بجدّ أنّ بالإمكان بلوغ شيء ما من خلال ذلك. والحق أن تلك الدعوة إنما هي عبث ومضرة. فيجب أن يقول الشيوعيون للعمال أن النضال ضدّ الحرب أبعد من أن يكون نضال فرد واحد في زمن معين وأن المظاهرات الثورية التي تخوضها جماهير العمال والفلاحين، في المؤخرة كما في الجبهة للإطاحة بالبرجوازية بالسلاح هي الوسائل الوحيدة الواجب استخدامها والتي يجب أن تخضع لها جميع الوسائل الأخرى. وإذ يناضل الشيوعيون ضدّ تلك الصفات المذكورة والتي تضرّ عمل الجماهير، فإنهم يوقظون في الطبقة العمالية روح البطولة الثورية من أجل النضال ضدّ الحرب الإمبريالية.

نقد
20

يقدر الشيوعيون دائما مسألة الإضراب العام ضدّ الحرب من جهة تحويل الحرب الإمبريالية حربا أهلية. ولا يمكنهم تقدير الإضراب العام على أنه، في حدّ ذاته، وسيلة نضال ضدّ الحرب. فمند 1907 حارب لينين وجهة نظر غوستاف هرفاي رافضا شعار الإضراب العام تلك «الوصفة السحرية» التي تقترح دون أخذ بعين الاعتبار الظروف والوضع الملموس، وبمعزل عن مجمل نضال الطبقة العمالية. ولقد أقر لينين عام 1922 حول هذه النقطة موقفا أكثر دقة من خلال تجربة الحرب العالمية. فما قدمه لينين من إشارات وتوصيات حول هذا الموضوع إلى الموفدين إلى ندوة لاهاي إنما يبقى ساري المفعول إلى الآن: يستحيل «الرد» على الحرب بالإضراب تماما كما يستحيل «الرد» عليها بالثورة بالمعنى البسيط والحرفي لتلك الكلمات. لكن إذ يرفض الشيوعيون شعار «الإضراب العام ردا على الحرب» وتندرون العمال بمثل تلك الأوهام التي لا يمكنها إلا أن تضرّ النضال الحقيقي ضدّ الحرب، فإنهم لا يرفضون الإضراب العام إذا ما اتخذ كواحد من وسائل النضال. وهم يعتبرون رفض اللجوء إلى تلك الوسيلة انحرافا انتهازيا ينبغي تركه

بصلابة. فالإضراب العام إذا ما كان إلى جانب أعمال جماهيرية أخرى (مظاهرات، إضرابات في المصانع التي تشتغل لصالح الدفاع الوطني، وإضرابات النقل، وغيرها) ويحرك الجماهير، هو أحد الوسائل الرئيسية في النضال وهو بمثابة انتقال إلى الانتفاضة المسلحة وهو أحد الأطوار التي يجب المرور بها لتحويل الحرب الإمبريالية حرباً أهلية. ولا يقف هذا التحويل على إرادة الحزب فقط. وإنما يفترض وضعاً ثورياً وقدرة استعداد الطبقة العاملة على التحرك جماهيرياً وغير ذلك ومن الأمور التي هي غير موجودة وقت إعلان الحرب إنما توجد أثناء الصدام. وحتى أثناء الحرب لا يأتي الإضراب العام لوحده وإنما هو خلاصة سيل هائل من الأعمال الثورية الجماهيرية، والمظاهرات والإضرابات الجزئية وغير ذلك. ومن جانب الشيوعيين هو خلاصة تحضير وقائي يتضمن تضحيات ثقيلة. الإضراب العام زمن الحرب يعطي دون شك نتائج ثورية أسرع مما يعطيها زمن السلم. لكن لن يكون تحضيره وتنظيمه أسهل أبداً. وستتخذ البرجوازية إجراءات احتياطية، وستجيب عن الإضراب بتعبئة العمال المضربين أو بعسكرة المؤسسات. لهذا السبب لا يجب على الشيوعيين أن ينكبوا، حتى في زمن الحرب، على دعوة مجردة قصد إضراب عام. وإنما يجب عليهم أن يواصلوا عملهم الثوري اليومي في المؤسسات والقباط مدافعين دائماً عن مطالب العمال الاقتصادية، ورابطين تلك المطالب بالدعوة ضدّ الحرب، ومنظمين لجان ثورية في المصانع، وكاسبين قاعدة المنظمات النقابية ومزيجين العناصر الاشتراكية - الوطنية من تلك المنظمات وعندما تكتسب القاعدة وتنتخب أجهزة قيادية جديدة معارضة لتلك الإصلاحية فإنها تنظم، رغم أنف هذه الأخيرة، إضرابات جزئية وتفجرها وتوسعها. فلا يمكن أن يكون شعار الإضراب العام شعاراً معلقاً في الهواء. بل يجب أن يكون هدف كامل ذلك النشاط العملي ونتيجته. في مثل ذلك الوضع، يجب على الطبقة العاملة أن تستعد للإضراب العام المظفر وان تقوده، في ظروف ملائمة إلى انتفاضة مسلحة.

يرفض الشيوعيون، أيضا، من جهة تحويل الحرب الإمبريالية حربا أهلية، شعار رفض الخدمة العسكرية «مقاطعة الحرب» الذي يبشر به بعض من أنصار السلم «الجدريين» و«يسار» الاشتراكيين-الديمقراطيون.

أ- إن فكرة جعل الحرب الإمبريالية مستحيلة بأن نطلب من الجماهير المعبئة عدم الاستجابة لنداء الخدمة العسكرية إنما هي وهم تماما مثلما هي كذلك فكرة «الرد» على الحرب بالإضراب العام. إن من يقترح هذه الوصفة إنما هو يضعف النضال الثوري الحقيقي ضدّ الحرب.

ب- حتى في حالة نجاح جزئي تحقّقه هذه «المقاطعة الجماهيرية» فإن نتيجة ذلك هي أن لا يكون أكثر العمال صلابة ووعيا داخل الجيش؛ فذلك يمنع تحقيق عمل الثوريين المنتظم في الجيش (الذي هو إحدى المهات الجوهرية في النضال ضدّ الحرب). لهذا السبب كان لينين على صواب تام عندما كتب عام 1922 وبالاعتماد على تجربة الحرب العالمية:

«قاطعوا الحرب. تلك جملة حمقاء. فيجب على الشيوعيين أن يسيروا في أي حرب رجعية».

لكن هذا التوجيه الذي قدمه لينين حول الخدمة العسكرية، لا يعني أنه يجب على الشيوعيين أن يقوموا بالتحريض بين الجماهير حتى تنخرط في الجيش البرجوازي. إنه يعني أن على الشيوعيين أن يناضلوا بثبات ضدّ شعار المقاطعة الذي لا يمكنه إلا أن يضر ويخلق أوهاما. وأن يجب عليهم أن يعملوا في سبيل الثورة وتنظيم الجماهير في الجيش البرجوازي، وتسليح الطبقة العاملة وتحويل الحرب الإمبريالية حربا أهلية.

لهذا السبب، عندما توضع مسألة الدخول في الجيش البرجوازي أو تلك المتعلقة برفض حمل السلاح «المقاطعة»، يجب على الأحزاب الشيوعية أن تنصح العمال والفلاحين الفقراء بأن يقبلوا الخدمة العسكرية وأن يتعلموا استخدام السلاح وأن يقوموا بعمل ثوري في الجيش حتى تكون اللحظة التي يديروا فيها سلاحهم إلى البرجوازية.

إذا ما ظهرت حركة جماهيرية كبرى تسعى إلى رفض الخدمة العسكرية لحظة إعلان الحرب، وجب على الشيوعيين أن يكونوا في صفوف تلك الحركة وأن يقدموا مطالب

ملموسة وشعارات عمل جماهيري ضدّ الحرب الإمبريالية، ويجب عليهم أخيراً أن يستغلّوا تلك الحركة استغلالاً أقصى لتثوير الجماهير. لكن في مثل هذه الحالة، يجب على الشيوعيين أن يكافحوا مذهب السّلم وشعار المقاطعة السّلمي. يجب عليهم أن يعلنوا بكل صراحة أن تلك الوسيلة النضالية غير كافية وأننا لا نقدم شيئاً إذا ما اقتصرنا على رفض حمل السّلاح. ويجب عليهم أن يفسروا للجماهير كيف أن الطريق الصحيح الوحيد للنضال ضدّ الحرب الإمبريالية إنّما هو السّعي إلى تحويل هذه الأخيرة حرباً أهلية. ويجب القيام بدعوة قوية حتّى تفهم الجماهير ضرورة العمل الثوري في الجيش البرجوازي. يجب على الشيوعيين أن يعثّوا حركات جماهيرية من ذلك القبيل نحو تكوين «كتائب» أنصار وتطوير الحرب الأهلية فوراً إذا ما كان الوضع العام يمكّنهم من ذلك. ويتعلق الأمر هنا بالبلدان التي توجد فيها حركة وطنية ثورية قوية. ففي مثل هذه البلدان، وعندما تعلن الحرب أو أثناءها (خصوصاً إذا ما كانت حرباً على الاتحاد السوفيتي)، وإذا ما كان الوضع ملائماً، يمكن للشيوعيين أن يرفعوا شعار انتفاضة وطنية ثورية ضدّ الإمبرياليين وأن يشكلوا (كتائب الأنصار) فوراً.

فقرّة 22

في البلدان التي الخدمة العسكرية فيها ليست إجبارية، تباشر حكوماتها حملة للحصول على الانخراط في الجيش وقد تضطر إلى إعلان الخدمة العسكرية العامة الإجبارية. ومن المعلوم أن هدف الشيوعيين في هذه البلدان أيضاً هو تحويل الحرب الإمبريالية حرباً أهلية. وفي إطار ذلك النضال يجب على الشيوعيين أيضاً، أن يتحركوا ضدّ الدعوة البرجوازية التي تطلب متطوعين. كما يجب عليهم أيضاً أن يناضلوا ضدّ تركيز الخدمة العسكرية الإجبارية. ويكون الأمر على نحو لا يذهب من خلاله في اعتقاد العمال أنه يرفض الدخول في الجيش وبمكافحة كلّ قانون يرحى من وراءه تركيز الخدمة العسكرية العامة سيمكن من منع نشوب الحرب. فذلك سيكون وهماً يجعل العمال لا يجدون جدوى من العمل الثوري في الجيش. فيجب أن يفسر جيداً للجماهير كيف أن ذلك النضال إنّما هو نضال على صعيد ثانوي وليس هو الكل في المعركة العامة الموجهة ضدّ الحرب الإمبريالية. يجب تنظيم العمل الثوري في الجيش والجهر بضرورته أثناء الدعوة.

إن العمل الثوري على الجبهة له أعلى أهمية في تحويل الحرب الإمبريالية حرباً أهلية. ولا يجب أن يعكف الشيوعيون على دعاية بسيطة وإنما عليهم أن يرفعوا شعارات عمل توافق الوضع الملموس.

أ- عندما يرفع الجنود مطالب اقتصادية وشكاوي، يقع اللجوء إلى وسائل من قبيل رفض الخدمة جماعياً أو إلى العرقلة، كما تنظم بعض إضرابات الجنود وأطقم البواخر.

ب- الشعار العملي الرئيسي على الجبهة هو الأخوة. الهدف هو تقريب الجنود عمالاً وفلاحين من الجبهتين المتحاربتين وتوحيدهم ضد جنرالات الرجوازية. لقد بينت تجربة الحرب العالمية الأخيرة أن التأخي الجماهيري يؤدي حتماً إلى تفكك الجيوش وتجمع طبقي وصراع مسلح بين الجنود والضباط. ويعهد إلى الشيوعيين الذين في الجيش تنظيم التأخي معطين إياه لونا سياسياً جيد التميز، وفي مقدمة ذلك ما يتعلق بمسألة السلم وتنظيم القوى الثورية في الجيش.

حرب العمال الأهلية على البرجوازية

لقد تحولت حرب 1914-1918 الإمبريالية حرباً أهلية في عدد لا بأس به من بلدان أوروبا الشرقية والوسطى مما مكن الطبقة العاملة الروسية من الظفر. ولدروس ثورة تشرين الأول مغزى حاسماً في ما يتعلق بموقف الطبقة العاملة من الحرب. إنها تبين، أولاً، أن البرجوازية، في تلك الحروب الإمبريالية تكون مكروهة على تسليح العمال، لكنها في الأوقات الحرجة والهزائم، تفقد سيطرتها على الجماهير المسلحة. وثانياً، أن اتباعاً منطقياً لنضال ضد الحرب إنما يفترض عملاً لتثوير جماهير الجنود، أي لتحضير الحرب الأهلية. وثالثاً، أن الحروب الأهلية تفترض استعداداً جدياً عند الطبقة العاملة وحزبها. وتبين تجربة السنوات اللاحقة -ألمانيا (1919 و1923)، بلغاريا (1923)، إستونيا (1924) النمسا (فيينا، تموز 1927)- أن حرب العمال الأهلية لا تثيرها حروب البرجوازين الإمبريالية فقط، بل يثيرها أيضاً وضع الرأسمالية المعاصرة «العادي». إن انتفاضات الطبقة العاملة في شنغهاي في آذار 1927 وفي كاتنون في كانون الأول من نفس العام،

إنما تتضمن دروسا هامة بالنسبة للطبقة العمالية، وخاصة بالنسبة للأمم المضطهدة، بالنسبة للمستعمرات وشبه المستعمرات. إذ تبين أحداث شنغهاي بوجه خاص، كيف يمكن للانتفاضة العمالية أن تكون سلاحا في حرب وطنية ضد الإمبريالية وأعوانها. تجر هذه التجربة الشيوعيين على بسط، خلال نضالهم ضد الحروب الإمبريالية والمضادة للثورة، قبل كل شيء، وبدقة، مشاكل الحرب الأهلية العمالية وتحليل دروس تلك الانتفاضات وتمثلها.

فثورة
25
تلك الدروس هي كما يلي:

أ. بالنسبة للظروف الأولية للانتفاضة: يجب أن يكون هنالك وضع ثوري، أي أن تكون هنالك أزمة في سلطة الطبقات القائمة، كأن تنتج مثلا عن هزائم عسكرية. يجب أن يكون وضع الجماهير ثقيل الوطاء والاضطهاد لا يطاق أكثر وذلك على وجه أشد من المعتاد، وأن تكون الجماهير أنشط وأكثر تأهبا للنضال لقلب الحكومة بالثورة. ويجب أن يكون هنالك حزب شيوعي متمرس يمتد نفوذه إلى أنشط شرائح الطبقة العمالية.

بالنسبة لتحضير الانتفاضة: لا يجب أن تعتمد الانتفاضة على الحزب القيادي فقط، بل أيضا على الجماهير العمالية. فما له أعلى أهمية هو العمل التحضيري في المنظمات الجماهيرية العمالية وفي مقدمتها النقابات ومشاركها النشيطة في تحضير الانتفاضة، وخلق أحمزة الانتفاضة لتجميع الجماهير جهورا.

يجب أن تعتمد الانتفاضة على المد الثوري من جانب كل السكان الكادحين وفي مقدمتهم العناصر شبه العمالية، وعلى الفلاحين الفقراء. ومن اللازم العمل بحموية لإثارة تفكك الجيش البرجوازي. ولحظة الانتفاض، يوجه النضال لكسب الجيش.

يجب أن يكون تنظيم الانتفاضة والتحضير العسكري ضمن أهم مهمات العمل بين الجماهير العمالية وكذلك في المستعمرات وشبه المستعمرات.

وعند تحديد لحظة اندلاع الانتفاضة تأخذ بالحسبان جميع تلك الاعتبارات الموضوعية والذاتية. ولا يمكن تحديد التوقيت النهائي إلا إذا وجدت صلة متينة بين الحزب وجاهير العمال الثوريين.

بالنسبة للتطبيق ذاته لذلك القرار، يجب الأخذ بقاعدة عامة مفادها أن لا لعب بالانتفاضة. فحالما يثار الانتفاض من اللازم مواصلة الهجوم بحموية حتى يتحطم العدو نهائياً. فكل تردد ينتهي بالضرورة إلى هزيمة الحركة المسلحة. فمن اللازم وضع أكبر قوة ممكنة ضد قوة العدو الرئيسية. ويجب العمل على نحو يكون فيه النصر حليف الطبقة العاملة من جهة إستراتيجية عالية الأهمية: فمن اللازم نشر الانتفاضة في أوسع نطاق ممكن دون تأخير. والانتفاضة تستوجب فنا. فالمشكل سياسي قبل كل شيء وليس علماً عسكرياً فقط. فلا يمكن أن تكون قيادة الانتفاضة إلا بيد حزب ثوري. ولحظة الانتفاض، يجب على الحزب أن يخضع كامل نشاطه لحاجات الصراع المسلح.

الطبقة العاملة نذود عن الاتحاد السوفييتي من الإمبريالية

26/ حرب الإمبرياليين على الاتحاد السوفييتي هي، بكل بداهة، حرب طبقية، حرب مضادة للثورة تشتمها البرجوازية ضد الطبقة العاملة، هدفها الرئيسي قلب الدكتاتورية العاملة وتركيز نظام إرهاب أبيض ضد الجماهير العاملة والجماهير الكادحة في جميع البلدان. ويرتكز تكتيك نضال عمال البلدان الرأسمالية ضد تلك الحرب، على البرنامج البلشفي في النضال ضد الحرب الإمبريالية؛ فيجب تحويل حرب البرجوازيات تلك حرباً أهلية. ويجب ملائمة طرق النضال ومشاكله، قبل الحرب أو أثناءها، للظروف الملموسة لتحضير تلك الحرب ولطابعها الطبقي. ويلحق التكتيك تحويرات هامة عندما يكون (الخصم) الذي يواجهه جنود جيش إمبريالي بلد دكتاتورية عمالية لا قوة إمبريالية أخرى.

تجسيدها لمسألة عمل التحريض في حال حرب إمبريالية على الاتحاد السوفيتي أو تحضيرها، من الضروري ملاحظة ما يلي:

أ. أن السلمية التي تخفي تحضير الحرب هي سند هام جدا لذلك التحضير. ولذلك من اللازم تقوية النضال ضد السلمية وضد شعاراتها المسالمة: ضد عصبة الأمم التي ستقود الحرب المقبلة المعلنة ضد الاتحاد السوفيتي باسم «الحضارة» و«السلم» وضد «السلمية الواقعية» التي تعتبر الاتحاد السوفيتي والثورات العمالية والوطنية تهديدا للسلم، وضد السلمية «الجدرية» التي تريد أن تحط من قيمة فكرة الدفاع عن السلطة السوفيتية بحجة معارضة «كل حرب».

ب. الاشتراكية-الديمقراطية أتت لتحضر بنشاط الحرب المضادة للثورة، الحرب على السلطة السوفيتية. لذلك من اللازم تقوية، بكل الوسائل، النضال ضد الزعماء الاشتراكيين-الديمقراطيين اليمينيين و«اليساريين» على حد سواء وكذلك ضد شركائهم التروتسكيون والفوضيون النقاويون. ومن اللازم قبل كل شيء أن تكشف وتفضح أمام الجماهير مختلف شعارات تلك العناصر وحججهم التي يستخدمونها لمحاولة تبرير الحرب على اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية من قبيل: «النضال من أجل الديمقراطية ضد الدكتاتورية» و«التفسخ» و«غزو الكولاك» و«مذبحة» السلطة السوفيتية ومواعظ أخرى حول «الإمبريالية الحمراء» وشعارات أخرى مثل شعار «عدم الانحياز في حال الحرب» وغير ذلك.

إن الطبقة العمالية العالمية التي ترى في الاتحاد السوفيتي مدافعا عنها، تقدره بتعاطف متعاطف. فإذا أمكن لنا أن نلاحظ أن الحرب الإمبريالية على اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بوصفها حربا طبقية، ستكون مفهومة من جانب الجماهير العمالية بأكثر سرعة مما كان عليه الأمر خلال حرب 1917 وأن الجماهير الكادحة لها الآن تجربة الحرب الإمبريالية العالمية الأولى وأن طليعة الطبقة العمالية تجد في الأمية الشيوعية منظمة ثورية عتيده، يمكننا أن نؤكد أن إمكانيات النضال ضد الحرب قد تعاطمت وأن الشروط الأولية لتطبيق تكتيك أكثر صلابة قد اكتسبت.

إن التأهب للحرب الآن أسهل مما كان عليه الأمر عام 1914 وذلك باشتداد الصراع الطبقي وبدفعه إلى صدّ تظاهرات الجماهير الثورية ضدّ الحكومات التي تسعى إلى إعلان الحرب على الاتحاد السوفييتي. ولقد قدّم العمال الإنجليز مثالا له معنى لمثل ذلك العمل الثوري عام 1920 عندما كونوا لجان العمل وأكروها حكومتهم على التراجع عن ضربة سيئة كانت تحضّرها ضدّ اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية.

إن الشروط الأولية التي تجعل الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية تحول الحرب الإمبريالية على الاتحاد السوفييتي حربا أهلية على البرجوازية إنما تقوم بسرعة أكبر مما يكون عليه الأمر في حرب بين إمبرياليين. لذلك، رغم أن الشيوعيين في البلدان الرأسمالية، في حال حرب على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية {يرفضون} شعار (الإضراب العام) ولا ينهكون في أوهام مبنية عليه، ويجب عليهم أن يتنبؤوا إمكانيات كبيرة لاستعمال الإضرابات الجماهيرية والإضراب العام قبل إعلان الحرب لحظة التحريك (التعبئة).

في حال هجمات مسلحة جزئية على الاتحاد السوفييتي، يجب على الشيوعيين في الأمم المضطهدة وفي الدول الإمبريالية أن يبذلوا كلّ جهدهم لإثارة نهوض الأقليات القومية في أوروبا وفي المستعمرات أو شبه المستعمرات وأن ينظموا حروبا وطنية تحريرية ضدّ الإمبرياليين أعداء السّلطة السوفييتية.

إذا ما وقع توجيه حرب إمبريالية ضدّ الاتحاد السوفييتي، وطن الطبقة العاملة العالمية، يتغير التكتيك الواجب تطبيقه مقارنة بالتكتيك الذي توجهه حرب فيما بين الإمبرياليين، على النحو التالي:

أ. لا تسعى طبقة عمال البلدان الإمبريالية إلى هزيمة حكوماتها في تلك الحرب فحسب، بل يجب عليها أيضا أن تسعى بنشاط إلى انتصار السّلطة السوفييتية. لذلك السبب، لا يتحدد تكتيكها واختيار وسائل النضال بمصالح الصراع الطبقي في بلدانها فحسب، بل يتحدد أيضا بمصالح الحرب على الجبهة بما أنها حرب طبقية تشنها البرجوازية ضدّ الدولة العاملة. الجيش الأحمر ليس جيشا معاد. إنه جيش الطبقة العاملة العالمية ولا تصغي

طبقة عمال البلدان الرأسمالية إلى إغراءات البرجوازية زمن الحرب، التي تهمها بالخيانة العظمى. فلا يمكنها أن تتخلى، تحت الردع، عن أزر الجيش الأحمر ضدّ برجوازيها.

فتحة 30

إذا ما كان «الدّفاع عن الوطن» غير مقبول به في البلدان الإمبريالية، فإنه يمثل واجبا عظيما على كلّ ثوري يعيش تحت نظام الدكتاتورية العالمية. فالدّفاع هنا ممثل في الطبقة العالمية المسلحة في اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية. فقد أكسب انتصار ثورة تشرين الأول عمال العالم أجمع بلدا اشتراكيا: الاتحاد السوفيتي. إن الذود عن اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية من البرجوازية العالمية يستجيب للمصالح الطبقية، وهو واجب شرف للطبقة العالمية العاملة. فخلال سنوات 1919 و1921 هزمت السّلطة السوفيتية جيوش التدخل التي بعثت بها أربع عشرة دولة من بينها أعظم القوى الإمبريالية، وكان ذلك بفضل الطبقة العالمية العاملة التي كانت تناضل في سبيل الدكتاتورية العالمية في اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وذلك بتنظيم أعمال جاهريّة ثورية. وإن هجوما جديدا تشنه الإمبريالية على الاتحاد السوفيتي، سيبين أن تضامن الطبقة العالمية الأُمّي إنما هو واقع رغم جميع الاستعدادات التي وقعت ورغم انف جميع الخطط المضادة للثورة التي تنسجها الاشتراكية- الديمقراطية. من يجب أن نعتبره حليف الطبقة العالمية العاملة في الدّفاع عن اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية؟ أولا، الفلاحون الفقراء والجماهير الوسطى في أرياف الاتحاد السوفيتي؛ وثانيا، حركة التحرّر الوطنيّة الثورية في المستعمرات وشبه المستعمرات.

فتحة 31

تستجيب السياسة العالمية لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية لمصالح الطبقة العالمية، وهي الطبقة القائمة في الاتحاد، مثلما تستجيب لمصالح الطبقة العالمية العاملة. وتوحد كلّ حلفاء الطبقة العالمية بالدكتاتورية العالمية على نحو متين. وتخلق قاعدة لاستغلال تناحرات الدول الرأسمالية بعضها ضدّ بعض. لذلك فإن سياستها هي سياسة سلم تهدف إلى إبراز الذود عن الثورة العالمية وحماية مؤسسات البناء الاشتراكي، التي وجودها في حدّ ذاته ونموها يساهمان في تثوير العالم. وهي تصبو إلى تأجيل أي صدام

مسلح مع الإمبريالية إلى أبعد ما يمكن. وتمثل هذه السياسة من جهة الموقع الذي تأخذه تجاه الدول الرأسمالية وتجاه علاقات هذه الأخيرة بالمستعمرات، في نضال ضدّ الحروب الإمبريالية وضدّ حملات نهب المستعمرات وضدّ السلمية التي تقنع كلّ ذلك. لا تعني أبداً سياسة السلم التي تنتهجها الدولة العالمة أن السلطة السوفيتية تقبل بوجود الرأسمالية طوعاً؛ فذلك ما يروجه المظلون الاشتراكيون-الديمقراطيون وشركائهم التروتسكيون الذين يسعون إلى الحط من قيمة السلطة السوفيتية في عيون الطبقة العالمة العالمة. إن سياسة الدولة السوفيتية هي تلك التي رسمها لينين للديكتاتورية العالمة. وهي لا تمثل إلّا وجهاً آخر أكثر (ملائمة) في الظروف الحالية، من وجوه النضال ضدّ الرأسمالية، ذلك النضال الذي تمسك به اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بكل ثبات منذ ثورة تشرين الأول.

مفكرة
32

ليس لطبقة عمال الاتحاد السوفيتي أي وهم حول إمكانية سلم متين مع الإمبرياليين. فهي تعلم أن هجوماً إمبريالياً على السلطة السوفيتية أمر لا مرد له، وأنّ حروباً بين دول عالمة ودول برجوازية، خلال مسار الثورة العالمة ليتحرر العالم من الرأسمالية، إنما هي حروب حتمية وضرورية. فكان أول واجب على الطبقة العالمة السوفيتية المناضلة في سبيل الاشتراكية أن تقوم بكل الاستعدادات اللازمة لحال حرب، أكان ذلك في سياستها أو في اقتصادها أو في جيشها. إذ وجب عليها أن تصقل جيشها الأحمر، الإدارة القوية عند الطبقة العالمة، كما وجب عليها أن تدرب الجماهير الكادحة على التمارين العسكرية. أما في الدول الإمبريالية فهناك تناقض صارخ بين سياستها القائمة على سلاح هائل وبين جملها الجوفاء حول السلم. إن هذا التناقض لا يوجد عند السلطة السوفيتية التي تحضر دفاعها والتي تحضر الحرب الثورية وتنتج، منطقياً، وبثبات سياسة سلم.

الطبقة العماليّة نذود عن الحروب الوطنيّة الثوريّة للشعوب المضطهدة ضدّ الإمبرياليّة وتبوضها

33 / لقد أصبحت الحروب الوطنيّة الثوريّة التي تخوضها الشعوب المضطهدة في المستعمرات وشبه المستعمرات ضدّ الإمبرياليّة، والتي تنبأ لينين بحتمية تطورها منذ عام 1916، والتي أقرت نظريا أول الأمر، -أصبحت- من وقائع التاريخ خلال السنوات الأخيرة. فمن ذلك حرب المغرب على الإمبرياليّتين الفرنسيّة والإسبانيّة، والاتفاضات في سوريا وحروب المكسيك والنيكارغوا على إمبرياليّة الولايات المتحدة الأمريكيّة، وحروب كاتون الثوريّة على هونغ كونغ عام 1925، وأخيرا حملة الشمال في الصّين خلال 1926-1927 تلعب الحروب الوطنيّة الثوريّة دورا هاما في المرحلة الراهنة من الثورة العالميّة لذلك السّبب يجب على الطبقة العماليّة أن تولي أقصى انتباه إلى الدروس والتجربة الناتجة عن تلك الحروب وخاصة الدروس التي بقيت لدينا من حملة 1926-1927 في شمال الصّين.

لقد ساندت، عن صواب كامل وقتئذ، حملة الجنويين على العسكريين في الشمال والإمبرياليين المتخفين وراءهم رغم أن البرجوازيّة كانت تقود تلك الحملة. فلم تكن الطبقة العماليّة ترغب في هزم الحكومة الشباليّة المضادة للثورة وتعمل على ذلك فحسب، بل كانت أيضا تعمل ضدّ البرجوازيّة المترددة، ضدّ دعاة الاتفاق، ضدّ الخيانة البرجوازيّة، كانت تعمل في سبيل قيادة ثوريّة للحرب وفي سبيل هيمنة الطبقة العماليّة في ذلك العمل الواسع. وهذا الخط العام الذي بينته الأميّة الشّيوعيّة للشّيوعيين الصّينيين كان متفقا ومبادئ ماركس وأنجلس حول الحروب الوطنيّة في القرن الماضي مثلا هو متفق ومذهب لينين.

34 / لكن الحزب الشّيوعي الصّيني قام بعدد من الأخطاء الفادحة. ستبقى بمثابة دروس جديّة لشّيوعي كلّ البلدان المضطهدة. لقد كان واجب الحزب الشّيوعي الصّيني في

تلك الحرب أن يستخدم، بكل الوسائل، الوضع الثوري الذي كان موجودا وقتئذ، لخلق جيشه العالمي، وتوسيع منظمته العسكرية، وتحضير العمال والفلاحين، ويسهل على الطبقة العاملة السبل التي تؤدي بها إلى قيادة الثورة. فرغم أن الظروف الموضوعية، خلال حملة الشمال، كانت ملائمة للحزب الشيوعي فإن هذا الأخير كان قد ظهر، عمليا، عاجزا على استغلال جهاز الكيومنتاغ العسكري والسياسي ليعمل في صلب الجيش، ولم يحاول خلق جيش خاص به.

لقد انخرط الحزب الشيوعي في القيادة مع ضباط الكيومنتاغ حصرا، عوض أن يركز جهوده على الدعوة في صفوف جماهير الجنود في منظماتها وعوض أن يجلب الجماهير العاملة والفلاحية إلى ذلك الجيش ليغير طابعه. ولم يدرك الحزب الشيوعي ما لتسليح الجماهير العاملة والفلاحية من أهمية ثورية ولم يهتم كما ينبغي بتحضير وقيادة حرب أنصار من عناصر تستقطب من الطبقة الفلاحية.

مختبر
35

إذ تساند الطبقة العاملة كلَّ حرب وطنية ثورية، وجب عليها أن تطبق تكتيك يحدده تحليل ملموس للظروف والدور الذي تلعبه مختلف الطبقات، الخ، وهكذا كان تكتيك ماركس عام 1848 لما أطلق شعار الحرب على القيصرية مختلفا عن التكتيك الذي أقره عام 1870 هاجمت ألمانيا نابليون الثالث. ولقد كان الشيوعيون الصينيون على صواب تام، زمن الحملة على الشمال، لما عقدوا تحالفا ظرفيا مع البرجوازية الديمقراطية والسير مع هذه الأخيرة وذلك بقدر ما كان للشيوعيين من إمكانية القيام بالدعوة وتنوير العقول في المعسكر الوطني الثوري. ولقد كان من الواجب أن يكون تكتيك الشيوعيين الألمان عام 1923، عندما طرحت مسألة الدفاع الوطني ضد التدخل الإمبريالي، الفرنسي، مختلفا تماما. إذ يجب على الحزب الشيوعي الألماني أن يربط مسألة الدفاع عن البلاد بمسألة النضال في سبيل الإطاحة بالبرجوازية التي كانت عاجزة عن لعب دور ثوري. وعلى نفس هذا المنوال وجب على الشيوعيين الصينيين أن يضعوا الآن مسألة النضال الوطني ضد التدخل الياباني. إذ يجب عليهم أن يربطوا مسألة الدفاع الثوري عن بلادهم

بمسألة النضال في سبيل الإطاحة بتشان كاي تشاك وبرجوازية الكيومنتانغ، وفي سبيل تحقيق دكتاتورية العمال والفلاحين الثورية الديمقراطية.

إنه من الضروري أن نلاحظ أن الحروب الوطنية التي يحارب فيها العمال الإمبريالية والتي يمكن للعمال فيها أن يسيروا مع البرجوازية الديمقراطية مؤقتا أصبحت نادرة أكثر فأكثر، لأن برجوازية الشعوب المضطهدة، التي تخشى ثورة عمالية وفلاحية أصبحت رجعية وتنساق إلى بيع نفسها للإمبرياليين. ونرى بوضوح متزايد قدوم حروب وطنية من طراز جديد لا تقوم بدور قيادي فيها إلا الطبقة العمالية. ويتعلق ذلك أيضا بالحروب الوطنية في أمريكا اللاتينية ضد إمبريالية الولايات المتحدة الأمريكية. إن اتجاه تحويل الحروب والانتفاضات الوطنية ثورة ديمقراطية للطبقة العمالية أو ثورة تقودها الطبقة العمالية وهو اتجاه كان قد أشار إليه لينين منذ عام 1916، احتد بصورة هائلة.

مختصر
36

ستلعب مسألة الحرب الوطنية الثورية، - نظرا لوجود عدد كبير من القوميات والأقليات القومية المضطهدة في العديد من دول أوروبا أعادتها من جديد اتفاقية فرساي- دورا هائلا في العالم، وقبل كل شيء إذا ما تعلق الأمر بتحويل حرب إمبريالية حربا أهلية. فليس فقط في المناطق الحدودية البولونية والرومانية يقع اضطهاد السكان الروس- البيض والأوكرانيين والبيساريين بأقصى الوحشية والعنف لأنهم يسعون إلى الارتباط بوطنهم السوفييتي. ولا يجب على الأحزاب الشيوعية في تشيكوسلوفاكيا والبلقان وحدها أن تساند الحركات التحررية في الأمم المضطهدة والأقليات القومية، بل وجب ذلك أيضا على الأحزاب الشيوعية في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وبلجيكا وبريطانيا العظمى (أيرلندا). ويجب على الأحزاب الشيوعية أن تقود نضال تلك الأمم والأقليات الثوري ضد الإمبريالية، وأن تدافع عن حق تلك القوميات في تقرير مصيرها بنفسها وحقها في الانفصال التام إذا ما طرح ذلك، دفاعا لا مساومة فيه. وإذا طبق الشيوعيون هذه السياسة بثبات وجب عليهم أن يتهيموا وأن يهيموا الجماهير المضطهدة حتى إذا ما أعلنت حرب إمبريالية أو حرب معادية للاتحاد السوفييتي إلا ونظّموا انتفاضة أو حربا على البرجوازية.

نتهي من خلال مذهب ماركس ولينين وتجربة الحروب الوطنية في السنوات الأخيرة إلى القواعد التالية في تكتيك الطبقة العاملة في حروب التحرير الوطنية:

أ. إذا ما دافعت الطبقة العاملة عن حرب من ذلك القبيل وتعاونت أحيانا مع البرجوازية مؤقتا فلا يعني ذلك أبدا أنها تخلت عن الصراع الطبقي. فحتى في الحالة التي تتحرك فيها البرجوازية مؤقتا بالاشتراك مع الطبقة العاملة ضد الإمبريالية، فإن البرجوازية تبقى عدوة الطبقة العاملة. فهي تحاول استخدام الطبقة العاملة في الوقت الذي تتبّع فيه أهدافا خاصة بها لوحدها.

ب. لذلك لا يجب على الطبقة العاملة في أي حال من الأحوال أن تتبني ببساطة سياسة البرجوازية وشعاراتها. بل يجب عليها، دون أدنى شك، أن تتحرك لصالحها هي وفق برنامج سياسي خاص بها، ووفق شعارات خاصة بها، وبخلق منظمات ثورية من صلبها (أحزاب، نقابات، ميليشيات عمالية، كئانب عمالية). يجب على الشيوعيين أن يهينوا الجماهير لحمية الخيانة من جانب البرجوازية، وأن يتخذوا جميع التدابير الممكنة لضمان مواقع الطبقة العاملة، ويجب عليهم أن يجرّجوا البرجوازية قدر مستطاعهم في نضالها من أجل مصالحها الطبقيّة الخاصة بها، ويجب عليهم أن يستعدّوا للإطاحة بتلك القوة الاجتماعية. في حروب وطنية حيث تلعب البرجوازية والحكومات البرجوازية دورا مضادا للثورة (مثلما هو الحال في النضال الحالي الذي يخوضه العمال والفلاحون الصينيون ضدّ تقسيم الإمبرياليين الصين)، وجب على الشيوعيين أن يتحرّكوا قصد الإطاحة بالحكومة البرجوازية تحت شعار الدفاع الثوري عن البلاد.

يجب وضع مسألة الحروب الوطنيّة في البلدان التي التمايز الطبقي فيها ضعيف التقدم على ذلك المنوال، مثلما هو الحال عند المغاربة والدرور والسوريين والعرب. ففي هذه المجموعات الإثنية تلعب السلطة القبليّة والإقطاعية دورا يشبه دور البرجوازية في المستعمرات الأكثر نموا. فالتعاون المؤقت مع أولئك القادة أثناء النضال الثوري ضدّ الإمبريالية مقبول. لكن يجب دوما أن نغير اهتماما إلى خطر مفاده أن أولئك القادة لا

ينساقون إلى بيع أنفسهم للإمبراليين، أو لا يخضعون النضال التحرري لمصالحهم الطائفية.

لذا، يجب أن ترتبط الحروب الوطنية لتلك الشعوب قدر المستطاع بالنضال ضد الإقطاع أو ضد الأسياد الإقطاعيين من أجل تصفية كل إقطاع.

فصل 39

إن مشاكل الطبقة العاملة العالمية المتعلقة بحروب التحرير التي تخوضها الشعوب المضطهدة وبحملات الإمبريالية المضطهدة على الحركات الوطنية الثورية والثورات هي تقريبا نفس المشاكل لما يتعلق الأمر بحرب إمبريالية ضد السلطة السوفيتية:

أ. النضال ضد حرب الاضطهاد بتشديد خطورة التناحرات الطبقة قصد تحويل تلك الحروب حروبا أهلية ضد البرجوازية الإمبريالية.

ب. تطبيق قويم ومواكب لتكتيك انهزام البلد الإمبريالي وجيوشه، ونضال في سبيل انتصار البلد المضطهد وتقديم العون لجيوش هذا الأخير.

ت. تقديم التشجيع للأخوة بين جنود الجيوش الإمبريالية وجنود الجيوش الثورية في المستعمرات، وتشجيع الدخول الجماعي لجنود الإمبريالية في الجيوش الوطنية الثورية.

ث. النضال ضد إرسال بواخر الجيش والنقل إلى المستعمرات بمظاهرات ثورية جاهيرية قبل كل شيء. والنضال ضد تمديد مدة الخدمة العسكرية للجنود المنخرطين في الحروب الاستعمارية والنضال ضد مضاعفة ميزانية الحرب وضد القروض التي يقدمها الإمبرياليون لحكومات مضادة للثورة وللعسكريين في المستعمرات، ونضال ضد الاستعدادات للحرب فوق أراضي الامتياز وسكك الحديد والأنهار في المستعمرات.

ج. معارضة المجازر التي يقوم بها الإمبرياليون في المستعمرات، ومعارضة كل الإجراءات التي يتخذونها لحماية الحكومات المحلية المضادة للثورة بغية سحق الجماهير الكادحة.

فصل 40

يختلف التكتيك الحالي ضد التدخل في الصين عما كان عليه لما كان جزء من البرجوازية الصينية والكيومنغ لا يزالان يلعبان دورا ثوريا معنا. ومجمل الحروب الداخلية القائمة اليوم بين عدة قادة عسكريين محليين هي تعبير عن صدامات قائمة بين مختلف القوى

الإمبريالية حول تقاسم الصين. وجميع أطراف النزاع، الذين يمثلون مختلف فرق البرجوازية والملاكين، لها طابع مضاد للثورة. وعلى الطبقة العاليتة العالمية، أمام الوضع الحالي في الصين، إلى جانب مواصلة نضالها الحيوي في سبيل الدفاع عن العمال والفلاحين الصينيين، أن تفضح التور المضاد للثورة الذي تقوم به كل الحكومات البرجوازية والعسكريون في البلاد الذين هم أداة الإمبريالية. فصد الإمبريالية، لا يجب أن نساند إلا ثورة العمال والفلاحين الصينيين. ولا نقبل حالياً تطبيق شعار انضمام جيوش البرجوازيين الصينيين إلى الشعوب المضطهدة في المستعمرات. رغم أن التكتيك كان قد حور على هذا النحو، لا يجب بأي حال من الأحوال أن يضعف النضال ضد التدخل. لكن معظم الأحزاب الشيوعية انتهى إلى تلك النتيجة إثر تلك التحويرات في تكتيك الثورة الصينية، وهكذا سقطت في خطأ جدي.



الطبفة العماليّة والجيش

فقرة 41

إن إحدى أكبر أخطاء معظم الأحزاب الشيوعيّة هي طرح مسألة الحرب بطريقة مجرّدة والتّظر إليها من جهة الدعوة والتّحريض حصرا، دون درس مسألة الجيش، هذا العنصر الحاسم في جميع الحروب، دراسة كافية. فيجب أن نفسر للجاهير محتوى السّياسة الثوريّة في مسألة الحرب، كما يجب كسب الجيش. فبدون ذلك يبقى كلّ نضال ضدّ الحرب الإمبرياليّة وكلّ مجهود لتحضير الحروب الثوريّة محصورا في مجال النظرية. غالبا ما يفسر هذا الخطأ، إن أمكن القول، بالوراثة وبتقليد متعقّن كان منذ الأميّة الثانية القديمة، التي كانت تصرخ ضدّ الحرب الإمبرياليّة دون أن تقوم بأدنى عمل في الجيوش. وكانت تتعت كارل ليندخت بـ«الفوضوي» لأنّه كان يطالب بذلك العمل. ولقد كانت الأميّة الثانية تنصح بـ«تعويض الجيش الدائم بميليشيا شعبيّة» عوض أن تقوم بسياسة ثوريّة في الجيش. إن شعار «الميليشيا الشعبيّة» هذا، الذي كان يلائم المرحلة التي كانت قد تكونت فيها دول قوميّة في أوروبا، كان له بعض قيمة ثوريّة وقتئذ. فقد كان يعني حلّ الجيش الدائم في زمن كانت تمثل فيه القيصريّة والسلطة المطلقة تهديدا رجعيّا للثورة (إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر). لكن مع نمو الإمبرياليّة، أصبح هذا الشعار لا يكفي أبدا وهو في آخر الأمر شعار شوفيني (هيدمان، 1912). وبعد أن تجددت الأميّة الثانية تخلت عن وصفها تلك لتخضع سياستها نهائيا لمصالح البرجوازيّة القوميّة في مختلف الدول. فقد دعت الأميّة الثانية فرنسا إلى شعار إمبريالي هو «جيش الشعب» تحت غطاء التمسك بالشعار القديم: «ميليشيا شعبيّة». كما دعت في ألمانيا وإنجلترا إلى جيش من المرتزقة تحت غطاء نزع التسلح. وإن «حق كلّ دولة في اختيار تنظيم جيشها بحرية» الذي أعلنته الأميّة الثانية ليس في الواقع إلّا حرية تجديد أحداث 4

آب. ويواصل، في ذات الوقت، خدم البرجوازية الاشتراكيون-الديمقراطيون حملتهم التضليلية ضد الجيش الأحمر والدكتاتورية العاليتية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية رافضين ما يزعمون أنه «عسكرة حمراء».

فقرة 42 يعارض الشيوعيون هذه السياسة الحزبية المضادة للثورة التي تخدم بكاملها مصالح البرجوازية بسياسة حربية ثورية لصالح الثورة العاليتية العالمية. ومن المعلوم أن لا يمكن أن تكون هنالك وصفة عامة لمعرفة أي موقف يمكن اتخاذه تجاه جيش من الجيوش. إذ يجب على الطبقة العاليتية أن تستنير في علاقاتها بمختلف الجيوش بمبادئ مختلفة. فيجب عليها أن تعرف أي طبقة وأي سياسة يخدمها الجيش المعني. فما يجب تقدير أهميته ليس النظام العسكري الذي يجري به العمل في دولة من الدول وليس شكل تنظيم الجيش وإنما يجب قبل كل شيء معرفة ما إذا كان ذلك الجيش إمبرياليا أم وطنيا أم عماليا من جهة دوره السياسي. ويجب على الشيوعيين أن يستنبروا بتعاليم ماركس وأنجلس اللذان كانا يعارضان، زمن الحروب القومية الكبرى، فكرة الميليشيات الشعبية، تلك الفكرة الخيالية عند الاشتراكية-الديمقراطية البرجوازية الصغرى. ودعا إلى الخدمة العسكرية الإجبارية لإحلال الديمقراطية في الجيوش الموجودة ولتحويلها جيوشا ثورية. فقد دعا ماركس وأنجلس بعد كومونة باريس، - وقد استخلص أهم دروس الكومونة من جهة الثورة العاليتية -، إلى تحطيم الآلة السياسية البرجوازية، ودعا في المسألة العسكرية إلى حلّ الجيوش البرجوازية الدائمة وتعويضها بكتائب مكونة من عموم الشعب المسلح. ولقد استعاد لينين تعاليم ماركس وأنجلس وطورها بعد أن شوّهتها الأممية الثانية، وصاغ برنامج الثورة العاليتية العسكري.

موقف الطبقة العمالية من الجيش في الدول الإمبريالية

فقرة 43 يتحدد موقف الطبقة العاليتية من الجيش في الدول الإمبريالية. بما يلي:

يمثل الجيش، بمعزل عما يمكن أن يكون له من تنظيم، جزءا من آلة الدولة البرجوازية. يجب على الطبقة العاملة، عندما تقوم بثورتها، أن تحطمه لا أن تحل فيه الديمقراطية. وإن يبسط المشكل على هذا النحو، فلا يمكن أن يكون هنالك تمييز بين مختلف أنماط التنظيم سواء كان ذلك جيشا دائما أو ميليشيا وسواء كان ذلك جيشا قائما على أساس الخدمة العامة الإجبارية أو متكونا من مرتزة أو جنودا محترفين. وأن يبسط المشكل على هذا النحو، فلا يمكن أن يكون هنالك تمييز بين مختلف أنماط التنظيم سواء كان ذلك جيشا دائما أو ميليشيا وسواء كان ذلك جيشا قائما على أساس الخدمة العامة الإجبارية أو متكونا من مرتزة أو جنودا محترفين. «ولا جنديا، ولا مليا جيشكم» أي النضال الذي لا هوادة فيه ضدّ العسكرية البرجوازية ورفض جميع اعتمادات الحرب الخ. إن هذا المبدأ قابل للتطبيق على الجيش الدائم والميليشيا الديمقراطية على حد سواء فهما وجهان لواقع واحد: تسليح البرجوازية ضدّ الطبقة العاملة. والمطالب الديمقراطية الجزئية التي لا يمكن للطبقة العاملة أن تتخلى عنها مهما كان الأمر تتخذ طابعا مغايرا تماما لذلك الذي تتخذه زمن الثورة الديمقراطية. فهدف تلك المطالب ليس إحلال الديمقراطية في الجيش أو الميليشيا بل إحداث التفكك فيها. ومن المعلوم أن هذا الموقف المبدئي، الذي هو نفسه تجاه جميع الجيوش الإمبريالية، لا يجب أن ينتهي بنا إلى إغفال الاختلافات الكبيرة القائمة بين مختلف الأنظمة الدفاعية والتنظيمية في جيوش مختلف الدول. إن تلك الاختلافات لها أهمية بالنسبة للنشاط العملي.

فكرة
44

رغم أن جيوش البلدان الإمبريالية هي من عناصر آلة الدولة البرجوازية، فإنها تضم، أكثر فأكثر، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، قوى السكّان الحية، نتيجة ما ينشأ بين الدول الرأسمالية من عدوانية وحروب. وإذا بمجمل السكّان يقع تجنيده («الأمّة المسلحة»، تعبئة النساء، إخضاع الشّباب للاستعدادات العسكرية، الخ). ولقد ضعف هذا الاتجاه بعض الوقت لما انتهت الحرب العالمية. لكن الآن، عشية حرب جديدة، يظهر هذا الاتجاه بقوة كبيرة (في الولايات المتحدة، وفرنسا، وبولونيا). وكنيجة مباشرة لذلك، فإن التناحرات الطبقيّة القائمة بين البرجوازية والطبقة العاملة، بين المستغلين

والمستغلّين لها تواصل في الجيوش يقوم بين الضباط و- الجنود العاديين- إن مفعول تجنيد الجماهير هو، كما قال أنجلس، هدم جميع الجيوش البرجوازية من الداخل. لذا، لا يجب على الشيوعيين أن «يقاطعوا» تلك الجيوش، بل يجب عليهم أن يدخلوها وأن يقوموا بقيادة ثورية لمسار التفكك الداخلي الموضوعي ذلك. تبدل البرجوازية الجهد بكل الوسائل لتضمن لنفسها جيشا قويا بتدريب قاس وبانضباط وحشي بعزل الجنود عن السكّان ومنعهم عن الاهتمام بالسياسة، وأحيانا بأن تضمن لهم وضعا متميزا في المجتمع.

نلاحظ أن البرجوازية، في هذه السنوات الأخيرة، تتبنى أكثر فأكثر، نظام انتداب جيش محترف متكوّن من النخبة حتّى في البلدان التي لا تزال فيها الخدمة العسكرية إجبارية مثل فرنسا أو في البلدان التي كان فيها ذلك مثل ألمانيا. لكنها لا تستطيع أن تتفادى ضرورة عسكرة الجماهير. فهي لا تنجح إلّا في المزج بين استعمال «المرتزقة» و«الأمة المسلحة» أو منظمات من قبيل الميليشيات. ولا تستطيع أن توقف مسار تفكك جيوشها وإنما تستطيع أن تعطلّ ذلك المسار وتعرقل بصورة كبيرة العمل الثوري. لذا، فإنّ من واجب الشيوعيين أن يدرسوا بمتمعن ظروف العمل التي خلقتها الرجعية وأن يعارضوا الطرق البرجوازية الجديدة بطرق عمل ثورية جديدة.

فتحة
45

يجب على موقف الطبقة العاملة من الجيش الإمبريالي أن يناسب تماما موقفها من الحرب الإمبريالية. وهكذا فإنّ الانهزامية وشعار تحويل الحرب الإمبريالية حربا أهلية هما عنصران يساعدان على توضيح الطريقة الواجب اتباعها في تناول المشاكل الأكثر خصوصية في الدفاع وتنظيم الجيش. الميليشيا البرجوازية والخدمة العسكرية الإجبارية على الجميع والتربية العسكرية للشباب كلّ ذلك كان في ما مضى من ضمن مطالب الديمقراطية الثورية. لكننا لا نجد اليوم في كلّ ذلك سوى وسائل رجعية اعتيادية لاضطهاد الجماهير وتحضير الحرب الإمبريالية. إذن وجب النضال ضدّ كلّ ذلك بحجوية قصوى. إن مبدأ السياسة الشيوعية هذا قابل للتطبيق حتّى في البلدان التي كوّنت فيها البرجوازية فضائل عسكرية محترفة وتخلت عن الخدمة العسكرية الإجبارية على الجميع

(مثل ذلك ألمانيا). ورغم ما في الخدمة العسكرية الإجبارية من بعض التسهيلات بالنسبة للعمل الثوري، إذ يمكن العمال من التدريب على استعمال السلاح، لا يجب على الشيوعيين أن يطالبوا بتطبيق ذلك النظام في بلد إمبريالي، بل وجب عليهم أن يجاروه، تماما مثلما وجب عليهم أن يعارضوا تكوين جيش محترف. يبين لنا شعار «تحويل الحرب الإمبريالية حربا أهلية» كيف يجب على الشيوعيين أن يناضلوا ضدّ كل إجراء (بما في ذلك الخدمة الإجبارية) يؤدي إلى عسكرة الجماهير. وإذ تعسكر الإمبريالية العمال وتعلمهم استخدام السلاح فإنها تخلق ظروفًا ملائمة لانتصار الطبقة العاملة في حرب أهلية. لذلك لا تلجأ الطبقة العاملة إلى حجب أنصار السلام لمعارضة عسكرة الجماهير. فإذ نناضل في سبيل الثرة والاشتراكية فإننا لا نتخلى عن حمل السلاح. وبندل الجهد فقط لفضح الطرق الإمبريالية لعسكرة الجماهير تلك الطرق المرسومة سلفا لخدمة البرجوازية. نحن نعارض تلك العسكرة بشعار تسليح الطبقة العاملة. وعلى الشيوعيين في ذات الوقت واجب الدفاع وإبراز مطالب الجنود تلك المطالب التي، في ظروف محددة، تماثل الصراع الطبقي في صلب الجيش ويمكنها أن تقوي العلاقات بين الجنود ذوي الأصول العاملة أو الفلاحية والعمال غير المنجدين.

ملاحظة 46 يمكن أن تكون المطالب الجزئية كما يلي:

ما يتعلق بنظام الدفاع:

❖ حل الجيوش المحترفة وإطارات ووحدات الإسناد؛ ❖ نزع سلاح الحرس وحله وكذلك الشرطة والحرس المتحرك والقوى الخاصة الأخرى المسلحة خصيصا للحرب الأهلية؛ ❖ نزع سلاح الجمعيات والرابطات الفاشية وحلها؛ ❖ إلغاء مجالس الحرب. وتقليص مدة الخدمة العسكرية؛ ❖ تطبيق النظام الترابي (يقوم الجنود بخدمتهم العسكرية في المناطق المتمين إليها)؛ ❖ إلغاء التجنيد الإجباري؛ ❖ تكوين لجان الجنود؛ ❖ حق المنظمات العاملة في تعليم أعضائها استخدام الأسلحة وحققها في أن تختار بنفسها من يباشر ذلك التعليم (تدريب).

لقد طبقت الحكومات الرأسمالية في بعض الأحيان تقليص مدة الخدمة العسكرية. وإذا بشكوك تقدم حول ضعف أساس هذا المطلب من جهتنا. لكن ذلك التقليل في حد ذاته يضعف أحيانا نظام الجيش الإمبريالي وليس يقويه. لذا، وجب أن نطالب به كمطلب جزئي بالنسبة للجيش القائمة على نظام الخدمة الإلزامية إذا ما تحققت الشروط التالية:

1. خط انهزامي شديد الوضوح؛
2. اتخاذ جميع الاحتياطات حتى لا يقع خلط تلك المطالب الجزئية بمطالب الاشتراكيين-الديمقراطيين.

تخظيم كل الأوهام حول إمكان إلغاء العسكرية بتلك الوسائل. من البديهي أن يجب أن تكون المطالب الجزئية ملموسة دائما، أي يجب أن تقدم في الشكل والوقت اللذان يكون لهما فيها أكثر حظا في أن تكون شعبية بين الجماهير وفي أن تثور هذه الأخيرة. وإذا ما تبنت الحكومات البرجوازية تقليص مدة الخدمة العسكرية أو طالب به اشتراكيون-ديمقراطيون، فإنه من اللازم النضال أو قبل كل شيء ضد الإجراءات الاعتيادية التي تتخذ بالتوازي لتقوية النظام البرجوازي (عسكرة كل السكان، تكوين إطارات صلبة محترفة، الخ). ويجب أن يعارض برنامج تقليص مدة الخدمة العسكرية، وهو برنامج خاطئ من جهة الديمقراطية، ببرنامج انهزامي جذري قوامه مطالب جزئية. يجب تجاه الجيوش المحترفة والفصائل المرتقة، أن نطالب، عموما، لا بتقليل مدة خدمتهم العسكرية بل بحق تلك العناصر في مغادرة الخدمة العسكرية بملأ إرادتهم ووقت ما يشاءون ذلك.

ب. ما يتعلق بحقوق الجنود وحياتهم المادية
* رفع أجورهم؛ * تحسين المعيشة؛ * تنظيم لجان إدارية مكونة من الجنود؛ * إلغاء العقوبات التأديبية؛ * تخظيم إجبارية إبداء الخشوع العسكري تجاه القادة (التحية وغيرها)؛ * معاقبة جد صارمة لمحاولات النيل من كرامة الجنود من جانب الضباط أو من دنى منهم رتبة؛ * الحق في ارتداء لباس مدني خارج العمل العسكري؛ * الحق في

مغادرة الثكنة يومياً (بعد انتهاء العمل)؛ *عطلة مع رفع الأجر خلالها؛ *الحق في الزواج دون ترخيص خاص؛ *منح عائلية؛
 الحق في الاشتراك في أي جريدة؛ *الحق في العمل النقابي وفي تكوين النقابات؛
 *الحقوق الانتخابية والحق في حضور الاجتماعات السياسية.
 جزء كبير من الجيش في العديد من الدول الرأسمالية يتكون من أقليات قومية مضطهدة.
 في حين تتكون إطارات الضباط كلياً أو في أغلبها من ممثلين للقومية المهيمنة إن هذا
 الوضع العام يخلق مجالاً ملائماً تماماً للعمل الثوري في الجيش. لذلك وجب علينا أن
 نضيف إلى مطالبنا الجزئية الخاصة بجهاير الجنود مطالب خاصة بالأقليات القومية
 (مثل ذلك حق خدمة موطن الرأس، حق التكلم باللغة الأم خلال الخدمة العسكرية،
 الحق في القيادة، الخ.)

مفكرة
 47

لم نعد كل الأقسام المكوّنة للمطالب. لكن يجب أن تصاغ مطالب القسمين المذكورين
 أعلاه لا داخل الجيش بل خارجه (في البرلمان وفي الاجتماعات العامة، الخ) ولا يمكن
 لهذه الدعوة أن تكون ذات جدوى إلا إذا كانت تحافظ دائماً على طابع ملموس. فوجب
 لذلك: أن نعرف جيداً الجيش وظروف الخدمة العسكرية ومطالب ومصالح الجنود، الخ.
 أي كلّ ما يمكن الحصول عليه باتصال شخصي دائم. أن نأخذ بالحسبان النظام الدفاعي
 في الدولة المعنية والوجه الذي طرحت فيه المسألة العسكرية في تلك الدولة في كلّ
 لحظة.

أن نأخذ بعين الاعتبار حالة الجيش النفسية العامة والوضع السياسي في البلاد في كلّ
 لحظة. فلا نطالب، على سبيل المثال، بأن يقوم الجنود بانتخاب الضباط إلا إذا ما تقدم
 تفكك الجيش بما فيه الكفاية.

أن نربط المطالب الجزئية بشعارات الحزب الشيوعي الجوهري: تسليح الطبقة العاملة،
 ميليشيا عمالية، الخ. لا يمكن لجميع تلك المطالب أن تكون لها قيمة ثورية إلا إذا ما
 ارتبطت ببرنامج سياسي واضح يرمي إلى تنوير الجيش البرجوازي. يجب التمسك، بوجه
 خاص، بتنظيم الجيوش قصد الدفاع عن مصالحهم الخاصة في اتحاد تام مع الطبقة العاملة

الثورية سواء قبل دخولهم الخدمة العسكرية (جمعيات المنخرطين، صناديق النضامن) أو بعد ذلك (لجان الجنود) أو أخيرا، بعد أن ينتهوا من الخدمة العسكرية (جمعيات قدماء الجنود الثوريين). وتلقى على عاتق النقابات العمالية مهمة الحفاظ على استمرار الصلة بنقابات أعضائها الذين جندوا ومراقبة تكوين منظمات أولئك الأعضاء.

فقرة
48

تختلف ظروف العمل الثوري في الجيوش المحترفة عن تلك التي في الجيوش المكونة على أساس الخدمة الإجبارية. وعادة يصعب القيام بالدعوة إلى المطالب الجزئية المذكورة أعلاه في النوع الأول من الجيوش. لكن لا يمكن بأي عذر من الأعذار التخلي عن ذلك العمل. فالجيوش المحترفة متكونة أساسا من عناصر عمالية (عاطلين) وفلاحين فقراء. ويمثل ذلك قاعدة للعمل بين جاهير تلك الجنود. ومن الواجب الأخذ بعين الاعتبار التركيبة الاجتماعية للفصائل المسلحة وخصوصياتها، فنقوم بدعوة جد حيوية ضد الفصائل المسلحة الخاصة التي تكونها البرجوازية خصيصا لمحاربة الطبقة العمالية (الحرس والشرطة) وضد العصابات المسلحة من المتطوعين (الفاشية) بوجه خاص. ونناضل خاصة بلا هوادة ضد التبشير الإصلاحى الذي ينادى (بالجدوى العمومية) وبـ (الشرطة الشعبية) و(الحق الطبيعى) عند الفاشيين وغير ذلك من الترهات. ومنهم خصوصا بتأجيج حقد السكّان على الفصائل المسلحة الخاصة فاضحين طابع هذه الأخيرة الحقيقية. لكن نعمل في ذات الوقت على إثارة التفكك الاجتماعى في تلك المنظمات العسكرية وكسب ما فيها من عناصر عمالية.

فقرة
49

يجب أن يتناسب العمل الثوري في الجيش والعمل الثوري بين الجماهير العمالية والفلاحية الفقيرة. فإذا ما كان هنالك وضع ثوري وإذا ما انتخب عمال المصانع لجانهم إلا وأصبح شعار لجان الجنود شعارا راهنا فيساهم في تقريب جاهير الجنود من الطبقة العمالية والفلاحين الفقراء في النضال في سبيل السلطة. يجب على الشيوعيين كلما مكّهم الظروف أن ينظموا جواهر الجنود لخلق مجالس (سوفياتات) حتى في الجيوش المحترفة

لتوجيهها ضدّ الجزرالات والبرجوازية. وحيث لم تكن تركيبة الفصائل من تحقيق ذلك يجب المطالبة بنزع السلاح فوراً وحل جميع الفصائل المسلحة.

المسألة العسكرية زمن الثورة العماليّة

50 / كلّ شعارات المطالب الجزئية الديمقراطية تتحدث عن نزع سلاح البرجوازية وتسليح الطبقة العماليّة.

يتم تسليح الطبقة العماليّة بطرق مختلفة في مختلف مراحل الثورة. فقبل الاستيلاء على السلطة وخلال الفترة الأولى التي تلي الاستيلاء عليها، فإنه ينبغي لذلك ميليشيا عماليّة، ميليشيا من الشغيلة وحرساً أحمر. كما ينبغي لذلك أيضاً أنصاراً أحمر. فالجيش الأحمر هو شكل التنظيم العسكري للسلطة السوفيتية: إنه جيش الدكتاتورية العماليّة. ليس شعار ميليشيا عماليّة (شغيلة، عمال، فلاحون) بالنسبة للبلدان الإمبرياليّة سوى شكلاً من أشكال صيغة تسليح الطبقة العماليّة لمرحلة السياسة الجزئية للثورة العماليّة في المرحلة التي تنظّم فيها الجيش الأحمر. وفي حال غياب وضع ثوري مباشر فإن ذلك الشعار ليس له سوى أهمية دعائيّة، لكنه يمكن أن يصبح شعاراً مباشراً في النضال ضدّ الفاشيّة.

عموماً، إن شعار ميليشيا عماليّة أو ميليشيا الشغيلة هو نداء تطلقه الجماهير العماليّة نفسها وليس مطلباً يقدم إلى الحكومة البرجوازية. ولا يمكن أن نطالب الحكومات أو البرلمانات بتكوين ميليشيا عماليّة إلا في حالات استثنائية (في الحالة التي تكون فيها الحكومة حكومة اشتراكيين-ديمقراطيين وحيث يكون الاشتراكيون-الديمقراطيون أغلبية في البرلمانات وبين الجماهير). ولا يتعلق الأمر هنا إلا بفضح الحزب الاشتراكي-الديمقراطي.

الحرس الأحمر هو جهاز الانتفاضة. وواجب الشيوعيين هو أن يقوموا بالتحريض قصد تكوينه وتكوينه فعلاً كلما توفر وضع ثوري مباشر.

مهما كان الحال لا يجب أن يغيب عن نظرنا أن وجود ميليشيا عمالية أو حرس أحمر في إطار الدولة البرجوازية في بلد إمبريالي زمن السلم العالمي هو أمر غير مقبول ومستحيل.

إن الميليشيا العمالية هي المنظمة المسلحة للطبقة العمالية التي تناضل في سبيل إرساء الدكتاتورية العمالية أو هي جهاز تلك الدكتاتورية العمالية قصد سحق المستغلين. وإنه على ذلك الأساس اختلف شعارنا ميليشيا عمالية عن مشاريع الإصلاحيين فيما يتعلق بـ«الدفاع العمالي» الأصفر، المتكون من عناصر عمالية منتقاة خصيصا على أساس انعدام الوعي عندها أو شرائها بالمال. فمنظمات (دفاع عمالي) من ذلك القبيل استخدمت لتفكيك الطبقة العمالية وقمعها في روهرف في أيار 1923، وبعد إنتفاضة فيينا عام 1927. يجب على الشيوعيين أن يناضلوا بشراسة ضد الأعيب الاشتراكيين- الديمقراطيين المظلمة.

يجب أن نميز شعارات الكفاح : ميليشيا عمالية أو حرس أحمر، وهي شعارات يجب أن توجد قبل امتلاك السلطة وهي ليست إلا أشكالاً جنين الجيش الأحمر، عن شعارات أخرى كالميليشيا التي ستكون بعد الانتفاضة وتقوية الدكتاتورية العمالية، عندما تصح الاختلافات الطبقة والدولة في طريق الاختفاء. فلأجل مقاومة الإمبريالية تحتاج الطبقة العمالية إلى جيش أحمر قوي ومنضبط ومسلح جيدا ومكافح. ولتحقيق هذه الواجبات حاليا يلزمنا جيش دائم يمثل نواة جماهير السكّان الكادحين المسلحين. سيكون عبثا برجوازيا صغيرا ومضادا للثورة أن نطالب الدكتاتورية العمالية، في جو وسط رأسمالي بأن تقبل نظام الميليشيا فورا وبكامله. فالتحقيق الكامل لمبدأ الميليشيا دون إضعاف القوة العسكرية لن يكون ممكنا إلا على قاعدة تطور كامل للقوى المنتجة في النظام الاشتراكي وتربية الجماهير تربية شيوعية. و فقط بانتصار الثورة العمالية في عدة دول كبرى رأسمالية يمكن أن ينتهي إلى النتيجة التالية : تعتي الحكومة العمالية، في سياستها العسكرية، بتعويض الجيش الأحمر الدائم بميليشيا طبقية فورا (وذلك ما بينته أيضا الجلسة العامة الثامنة للجنة التنفيذية للأمة الشيوعية) في جميع الأحوال، يجب

أن تكتسي منظمة الدفاع للديكتاتورية العاليتية طابعا طبقيا واضحا سواء في الفكر والانضباط أو في النظام. ولا يجب قبول العناصر المكونة للطبقات المستغلّة في الأجهزة النشطة.

موقف الطبقة العماليّة من الجيش في البلدان المستعمرة

وشبه المستعمرة

ملاحظة 53 أثناء مرحلة الثورات والحروب الوطنيّة التي تخوضها الشعوب المضطهدة ضدّ الإمبرياليّة، اتخذت المسألة العسكريّة في جميع البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة أهمية فاصلة. ويصح ذلك سواء على البلدان التي هي في حرب على الإمبرياليّة أو كانت في ذلك (الصين، المغرب، سوريا، النيكارغوا) أو على البلدان التي يجب فهم الحرب فيها بصورة أخرى (الهند، مصر، المكسيك، الفيليبين، كوبا). ومن الواضح أنه إذا ما قامت حروب تشنها قوميات على الإمبرياليّة فإن من الواجب بسط المسألة بصورة مغايرة تماما لما هو عليه الحال إذا ما تعلق الأمر بتنازع بين دول إمبرياليّة.

ملاحظة 54 لا يجب أن يغيب عن نظرنا أبدا أنه يوجد في تلك البلدان نوعان من الجيوش مختلفان تمام الاختلاف. الأول جيش قومي (وهو ليس دائما جيشا ثوريا). والثاني جيش الإمبرياليين (وهو متكون إما من أفواج فاتحة بعثتها الدول الاستعمارية، وإما من أصيلي مستعمرات أخرى، وإما أخيرا، من كتائب تألفت من سكان البلد المعني نفسه). نجد في الصين كلا النوعين من الجيوش، ونرى كيف تتحول الجيوش القومية جيوشا في خدمة الإمبرياليّة: فبعد انقلاب تشان كاي تشانك، وضع الجيش القومي الصيني نفسه، في الواقع، في خدمة الإمبرياليين. وإنه لمن الطبيعي أن تتخذ الطبقات العاليتية الثوريّة الكادحة مواقف مختلفة تماما تجاه ذاك النوعين من الجيوش. ففي ما يتعلق بالجيوش القومية، من الملائم أن نطبق برنامج ماركس وأنجلس العسكري للفترة 1848-1876 مع

بعض التحويلات. أي برنامج ديمقراطية تلك الجيوش قصد تحويلها فصائل ثورية. أما في ما يتعلق بجيوش الإمبرياليين، فلا يمكننا أن نطبق عليها إلا برنامج الانهزام أي يجب إثارة تفككها الداخلي. وكلما صادفتنا فرق خاصة من الضباط أو ذات تكوين عسكري برجوازي طبقاً إلا وعملنا على عزلها وتصفيتها، أي إلا واتبعنا البرنامج الذي بسطناه خلال حديثنا عن عملنا في البلدان الإمبريالية إلى جانب هذين النوعين من الجيوش، يجب أن نميز من جهة التكتيك، نوعاً ثالثاً من الجيوش في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة يدور في صلبه صراع بين الحركة الوطنية والإمبرياليين، صراع يدور في نفس الجيش الذي يخضع لقيادة الإمبرياليين (الهند، مصر، الهند الصينية، سوريا، الجزائر، تونس، الخ...) في مثل هذه الحالة، وأخذنا بعين الاعتبار الظروف الملموسة، من الضروري أن نمزج عناصر البرنامجين، أي برنامج الانهزام تجاه الجيوش ومختلف ألوية الجيوش الخاضعة للقيادة الإمبريالية إلى جانب شعار تسليح الشعب (ميليشيا) وشعار الجيش الوطني.

يجب ملائمة شعار جيش وطني للوضع الملموس وطرحه بشكل يمنع الإمبرياليين وعملائهم من إمكانية أي تلاعب به (جيش تام الاستقلال عن الإمبرياليين وله تنظيم ديمقراطي واسع ينتخب ضباطه، الخ). يجب أن تطالب شعاراتنا، سواء كنا في المستعمرات أم في البلدان الإمبريالية، بإخراج الجيوش الاستعمارية من المستعمرات وإرجاع كوادر وضباط الجيوش المحلية.

لأجل تحديد الموقف الذي نتبناه تجاه النظام العسكري في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة، من الضروري، أن نأخذ بالحسبان الدور السياسي الذي يلعبه هذا البلد أو ذلك في هذا الوقت أو ذلك أثناء المراحل الفاصلة من الثورة العالمية : هل أن البلد المعني حليف الاتحاد السوفييتي أم عدوه، هل هو حليف الثورة الصينية أم عدوها، الخ. عموماً، يجب على الطبقة العاملة والجمهير الكادحة في البلدان المضطهدة أن تدافع عن نظام التسلح الديمقراطي الذي على قاعدته يتعلم كلّ الشغالون استخدام الأسلحة، وهو نظام يرتقي بقدرات البلاد الدفاعية ويحصنها ضدّ الإمبريالية. يمكن العمال والفلاحين

فكرة
55

من التأثير في الجيش ويسهل النضال من أجل هيمنة الطبقة العمالية في الثورة الديمقراطية. إن الشعارات من قبيل الخدمة العسكرية الإجبارية، والتربية العسكرية للشباب، والمليشيا الديمقراطية، والجيش الوطني، الخ. هي من ضمن البرنامج الثوري ولن يكون في الدول الإمبريالية مثيلا له. في مرحلتنا، يجب أن يكون تكتيك الحركات الوطنية الثورية خاضعا لمصالح الثورة العمالية العالمية. لا يمكن للثوريين أن يتبنوا نفس البرنامج إذا ما تعلق الأمر ببلدان مضطهدة تلعب أيضا دور المضطهد وخادم الإمبريالية، بشن حرب على ثورة عمالية أو وطنية. يجب على مناضلينا هناك، مطلق الوجوب، أن يمزجوا الدعاية إلى الحرب الثورية للدفاع عن البلدان الثورية الأخرى بالدعاية إلى سياسة حرب ثورية والانزهاض تجاه الحرب التي يشنها بلادهم وجيشهم. إن هذا الخط هو الخط الواجب اتباعه حاليا في أقاليم الصين الخاضعة لسلطة جنرالات الكيومنتانغ.

فتحة
56

عند صياغة البرنامج العسكري في البلدان المضطهدة، يجب أن يأخذ بالحسبان مستوى التطور الاقتصادي والسياسي لتلك البلدان. في البلدان التي لم تمر بعد بالثورة الديمقراطية. يجب أن نطبق عموما شعار تسليح عموم الشعب (مليشيا وطنية)، وذلك، قبل كل شيء، حيث يكون التنافر بين البرجوازية والطبقة العمالية غير واضح كفاية (سوريا، المغرب، مصر). يجب أن يرتبط هذا الشعار بمطالب ديمقراطية موجهة ضد الإقطاع والعسكرية الإقطاعية والبرجوازية. أما في البلدان التي الانقسام الطبقي فيها واضح كفاية والثورة الديمقراطية فيها لم تنتهي بعد، كأمریکا اللاتينية، يجب أن يكون هنالك شعار طبقي: فنطالب بمليشيا عمالية وفلاحية. في البلدان التي تمر بمرحلة الثورة الديمقراطية، لا يكفي شعار المليشيا أبدا. يجب أن نطالب بتنظيم جيش ثوري. طبعا لا يمنعنا ذلك من أن نعلن في ذات الوقت، شعار المليشيا، خاصة عند التحضير لانتفاضة، ونلاحظ أن تسليح الطبقة العمالية، دون أن يتعارض ذلك مع تسليح الشعب بأكمله، هو جزء أساسي في التسليح العام. فخلال

المشاركة في تنظيم التسلح العام للشعب، من الضروري إطلاقا خلق وحدات عمالية خاصة يقودها زعماء ينتجون من صلبها.

في البلدان التي بلغت مرحلة الانتقال من الثورة الديمقراطية إلى الثورة العمالية، يمكننا أن تطبق البرنامج العسكري الخاص بالشّيوعيين في البلدان الإمبريالية ببعض التحويرات الملموسة. يعوض عندئذ شعار ميليشيا ديمقراطية بشعار ميليشيا عمالية. (ميليشيا عمالية، ميليشيا عمالية- فلاحية). حالما تبرز مسألة الاستيلاء على السلطة، خلال الثورة في المستعمرات، إلّا ووجب أن توضع على جدول الأعمال مسألة تنظيم الجيش الأحمر في ذات الوقت الذي توضع فيه مسألة تنظيم السوفييتات. فعندئذ تصبح الأشكال الثورية-الديمقراطية في تنظيم الجيش غير صالحة ومن اللازم تبني تنظيما طبقيا تمليه الثورة العمالية.

مفكرة
57

لأجل النضال ضدّ الإمبريالية متبعين سياسة عسكرية وطنية- ثورية من الضروري أن نخرط في عمل منتظم من الدعاية والتحرّيز بين صفوف جيوش المستعمرات. وبالتالي وجب على الشّيوعيين والوطنيين الثوريين أن يولوا الاهتمام الأكثر جدية لدراسة مختلف رتب جيوش المستعمرات ولصياغة طرق فعلية للعمل في صلبها. فمثلا بينه مثال الصين، كثيرا ما كان للعمل في صلب الجيوش المرتزقة المحلية ضعيفة الانضباط والأجر، أكبر حظوظ النجاح.

يمكن للمطالب الجزئية أن تشبه بعض الشيء تلك التي أشير إليها في البلدان الإمبريالية. لكن هنا أيضا، يجب أن نأخذ بحسبان فائق مجمل الظروف الملموسة (الأصل، تركيبة الجيوش ونفسياتها، الوضع المادي الخ.) ويجب الشروع بوجه خاص في صياغة مطالب الجنود المحليين والذود عنهم ضدّ الإهانات والسخرية التي يمارسها عليهم الضباط البيض.

يجب أن يكتسي عمل الشّيوعيين في صلب الجيوش الوطنية طابعا آخر. لكنه هام بدرجة قصوى مثلما بينته الحرب الوطنية في الصين في 1926-1927. إذ تكمن مهمّة الشّيوعيين هنا، في تنظيم خلايا في كامل الجيش حتى يجعلوا منه أداة واعية في النضال

ضدّ الإمبريالية وحتى يحاربوا فيه، لجانب مصالح الثورة الوطنية، العناصر المشكوك فيها ضمن الضباط، وحتى يخضعوا القيادة التي لم تتحول بعد إلى أيادي شيوعية، إلى مراقبة الجنود بواسطة أوسع ديمقراطية ثورية. فلا يجب أن ننسى أن في عهد الثورة الفرنسية كانت جيوش الوفاق قد حققت أكبر انتصاراتها بواسطة نظام انتخاب الضباط التي كان جاري به العمل. وفي المقابل سهل التنظيم غير الديمقراطي للجيش في الجنوب الصيني خيانة البرجوازية وجنراليتها وانقلابها الذي قامت به في 1926-1927.



الطبقة العماليّة أمام مشكل نزع السلاح والنضال

ضدّ النزعة السّلمية

فقيرة
58

خلال التحضير النفسي والمادي لحروب جديدة إمبرياليّة مضادة للثورة، تصطدم الإمبرياليّة حاليًا بصعوبة عالية الجديدة. إنه الشعور العفوي المشمئز من الحرب الذي تملك الجماهير وخصوصًا منها العمال والفلاحين والنساء الكادحات منذ الحرب العالميّة الأخيرة. إلّا يجعل ذلك الإمبرياليّة مضطرة إلى أن تحضر الحرب تحت غطاء النزعة السّلمية. وفي ذات الوقت اكتسبت النزعة السّلمية مغزى جديدًا، موضوعيًا من جهة أنه إيديولوجيا وأداة صراع الإمبرياليّة العالميّة ضدّ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السّوفييتيّة متصدّر الثورة العالميّة والناشد عنها. فهنا يجب أن نجد المحتوى الموضوعي والهدف الرئيسي للمقترحات وندوات نزع السلاح التي تقوم بها الدول الإمبرياليّة وبوجه خاص (العمل) الذي تقوم به عصابة الأمم في هذا المجال، ومناقشة (مسألة الأمن) ومشاريع خلق محاكم التحكيم واتفاقيات تعلن (الحرب خارج القانون) وغير ذلك. إن جميع تلك المشاريع والاتفاقيات والندوات السّلمية تنتهي إلى ما يلي:

أ. ينجح الإمبرياليون في إخفاء تسلّحهم؛

ب. تسعى القوى العظمى إلى تأمر الواحدة ضدّ الأخرى والتآمر على كلّ واحدة على حدة محاولة الحصول، عبر اتفاقيات، على تخفيض تسلّح الخصم ولا ترمي إلّا إلى تقوية قوتها العسكريّة الخاصّة؛

ت. قيام اتفاقيات مؤقتة بين القوى العظمى قصد تقوية نفوذها على البلدان الضعيفة والمضطهدة؛

ث. تحت غطاء من الشعارات السلمية تقوم تعبئة إيديولوجية وسياسية ضد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية. إن (نزع السلاح) عند الإمبراليين ليس شيئاً آخر سوى تحضير مباشراً أو غير مباشر للحرب. لذا، فالنضال ضد أكاذيب نزع السلاح ونزعة السلم يمثل الآن إحدى المهام الرئيسية في النضال ضد الحرب الإمبريالية.

برنامج نزع السلاح الاشتراكي الديمقراطي واللينينية.

59/ إن أهم أداة عند الإمبريالية في هذه المهزلة هي الاشتراكية-الديمقراطية التي تروج بين الجماهير أوهاما حول إمكانية نزع السلاح وإلغاء كل الحروب مع الإعلان أن ليس من الضروري قلب الرأسمالية قبل كل شيء. يوجد ضمن الاشتراكية-الديمقراطية اتجاهان فيما يتعلق بمسألة نزع السلاح هما في ذات الوقت اتجاهات النزعة السلمية البرجوازية. أحد هذين الاتجاهين، الذي كاوتسكي مبشر به منذ عام 1911، «يكشف» بعض القوى الموضوعية في الرأسمالية، هي في الواقع غير موجودة، قوى تؤدي إلى نزع السلاح وإلغاء الحروب. يمثل هذا الاتجاه سياسة التعاون مع البرجوازية «اليسارية» قصد تخفيض التسلح. والحصول على إبرام اتفاقيات دولية بين الإمبراليين، لتجنب الحرب أو حتى «منعها». وحدد لينين هذا الموقف، منذ 1916، فاعتبره «منزعا سلميا برجوازيا تاما». شكلت هذه النظرات من 1914 إلى 1918 إيديولوجيا «الوسط». لكن منذ نهاية الحرب العالمية وبداية التحركات السلمية التي انخرطت فيها الحكومات الإمبريالية، أصبحت جزءا مكونا لسياسة التوائر القيادية في الأهمية الثانية. إن هذه السياسة يدافع عنها يمين الاشتراكيين-الديمقراطيين مثلما يدافع عنها أغلبية «يسار» هم. فهي تقدم على أنها سياسة سلمية «واقعية» وهي لا تختلف في شيء عن سياسة البرجوازية الإمبريالية. يتعلق الأمر، هنا، بنظرية «الإمبريالية المنظمة» تلك النظرية التي تؤكد أن الرأسمالية، في مرحلتها الإمبريالية الحالية، تطوّر بنفسها العوامل الموضوعية الرامية إلى

هزم الحرب وإبعادها عن «العالم المتحضر» الخ. كما يتعلق الأمر هنا أيضا، بنظرية «الإمبريالية العليا» و«التحالفات» الإمبريالية و«الاتفاقيات» والكرتيلات الدولية، من جهة أنها وسائل ترمي إلى إلغاء التناحرات الإمبريالية. في الواقع، لا يوجد عند الإمبريالية أي اتجاه يهدف إلى إلغاء الحرب. عكس ذلك، كلّ الوقائع، التي يعددها «دعاة السلم الواقعيون» لتخدير الجماهير، إنما هي سمات تبين التحضير لحروب إمبريالية على نطاق هائل، حروب لا تشمل بضع أمم فقط، بل مجموعات كاملة من الأمم. ليس شعار الولايات المتحدة الأوروبية أو الولايات المتحدة العالمية في ظل النظام الرأسمالي إلّا وهما. لكن حتى ما إذا تحقق، فإنه يتخذ حتما طابعا رجعيا لأنه يمثل اتحادا لسحق الثورة العالمية والحركة الوطنية التحريرية عند الشعوب المستعمرة. كلّ النزعات الموجهة في هذا الاتجاه (مثل ذلك حركة التوحيد الأوروبي) هي رجعية بكل وضوح.

مفتحة
60

يتدخل أنصار المنزع الثاني بوصفهم دعاة سلم (متجدرون) أو (ثوريون) ويطالبون بنزع كامل للسلاح لا فقط بالنسبة للبرجوازية، بل أيضا بنزع سلاح الطبقة العاملة أي التخلي عن شعار تسليح الطبقة العاملة. أثناء الحرب الإمبريالية، تبنى هذا الشعار أيضا بعض الأيمنين الثوريين الذين لم يجدوا تعبيرا آخر عن صدق إخلاصهم في إنهاء العسكرية. في الواقع، لا يأخذ هذا الشعار بعين الاعتبار ضرورة تسليح الطبقة العاملة لأجل الحرب الأهلية بل يرفضه كغيره من ضروب التسليح. وذلك ليس بشعار ثوري، بل هو بقضه وقضيضه تعبيرا عن يأس البرجوازية الصغيرة. إن النقد الذي قام به لينين عام 1916 يحافظ على كامل أهميته ويجب إعطائه الآن، أكثر أهمية حتى وإن كانت مجموعة أنصار هذا الشعار جد ضعيفة الأهمية الآن. فقد بينت ثورة تشرين الأول لكل ثوري وفي الضرورة المطلقة لتسليح الطبقة العاملة. فتعويض شعار تسليح الطبقة العاملة بشعار نزع سلاحها لا يمكن أن يكون الآن إلّا عملة رجعية. لهذا السبب وجب على الشيوعيين أن يعملوا على تبيان الوضع الحقيقي للعمال الذي يغيرهم شعار نزع السلاح وخاصة في الدول الصغيرة، وأن يناضلوا بلا رحمة ضدّ الزعماء «اليساريين» الذين يدافعون عن هذه النظرية. نجد أيضا النظرية التي مفادها أن المحاكم الدولية يمكنها

أن تمنع الحرب. لكننا نعلم أن مؤسسات من هذا القبيل لا تصلح أكثر من فتافيع رغبة الصابون التي سرعان ما تتحل عند أول اصطدام. فتلك المحاكم هي بمثابة أدوات القرصنة بأيدي القوى الإمبريالية. يتفق اتجاه الاشتراكية-الديمقراطية حول نقطة في مسألة نزع السلاح والسلم فيها يعتقدان أن العائق الرئيسي أمام نزع السلاح إنما يتشكل من البلدان التي (لا توجد فيها ديمقراطية) أي من وجود الدكتاتورية العمالية في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية.

المشروع السوفييتي لنزع السلاح

وقع التصييص في الاجتماع الثامن لمجلس تنفيذية الأمانة الشيوعية على أن من واجب الطبقة العمالية، أن تتخذ اتجاه مقترح الاتحاد السوفييتي في مسألة نزع السلاح، موقفاً مبدئياً مختلفاً كل الاختلاف عما يجب أن تتخذه من موقف تجاه مشاريع التفاهق لنزع السلاح التي تقدمها الدول الرأسمالية، ونظراً لما لهذه المسألة من أهمية خاصة في النضال ضدّ المنزوع السلمي، فإنه من الضروري بسطها أمام الجماهير بأكبر قدر من الوضوح. يتميز مقترح نزع السلاح العام والكامل التي تقدمت به الحكومة السوفياتية إلى اللجنة التحضيرية التي كونتها عصبة الأمم في تشرين الثاني 1927، جذرياً، عن جمل ومشاريع الإمبراليين وخدمهم الاشتراكيين الديمقراطيين، من جهة الهدف ومن جهة الجدوية، كما من جهة أهميته الموضوعية. لا يرمي المشروع السوفييتي إلى نشر الأوهام السلمية، بل يرمي إلى تحطيمها ولا يرمي إلى حماية الرأسمالية بالصمت والتغاضي عن نواحيها المتعقبة، بل يرمي إلى نشر الأطروحة الماركسية الأساسية التي تؤكد أنه لا يمكن إلغاء الحروب إلا بإسقاط الرأسمالية. لقد اقترحت الحكومة السوفياتية على الإمبراليين الذين يثرثرون بحبث حول هذا الموضوع، نزع السلاح فعلياً، فنزع عنهم قناع السلام. إنه من البديهي أن لا يعول أيّ شيوعي على أن الإمبراليين سيقبلون المشروع السوفييتي. ومع ذلك فإن هذا المقترح ليس فيه شيء من التفاهق، فقد وضع بكل صدق، لأنه ليس في تعارض مع سياسة الدولة العمالية في الداخل والخارج، في حين أن جمل الإمبراليين عن نزع

السلاح، تتعارض مع ما تقوم به الحكومات البرجوازية من سياسة نهب واضطهاد. السلطة السوفيتية هي دكتاتورية الطبقة العاملة في خدمة مصالح أغلبية السكان المستغلين منذ قرون. فلا تتبع السلطة السوفيتية سياسة نهب واضطهاد. إن لها سياسة سلم في خدمة الطبقة العاملة العالمية. كما يتميز مقترح الاتحاد السوفيتي عن المشاريع البرجوازية والاشتراكية الديمقراطية بماله من أهمية موضوعية. فهو لا يخفي سياسة عدوانية وليس تعبيراً عن يأس البرجوازية الصغيرة، وإنما يعبر عن أحد أهداف الاشتراكية، وهو هدف ستحققه الطبقة العاملة الثورية بعد انتصارها في النطاق العالمي.

فقيرة
62

لقد استخدم الاشتراكيون الديمقراطيون في محاربة المشروع السوفيتي أكثر الوسائل تعقناً مستخدمين ما قدمته التروتسكية من شعارات. فقد حاولوا أن يشوهوا مقترح الحكومة السوفيتية حول نزع السلاح أمام أعين الجماهير مقدمين إياه على أنه «تحريف للينينية»، وكانقال في اتجاه «الترميدور»، الخ... وينج عن كل ما سبق أن ليس ذلك إلا تبريراً منقطعاً. إن البرنامج الثاني بتاريخ آذار 1928، الذي تقدم به الوفد السوفيتي بعد أن وقع رفض برنامجه حول نزع السلاح نزاعاً كاملاً، كان قوامه اقتراح نزع جزئي للسلاح بتقليص القوات البرية والبحرية، (إن هذا البرنامج) لا يمثل أبداً مساومة أمام المنزع السلمي، بل العكس، ينتهي إلى نزع القناع ويوضح، بوجه خاص، موقف القوى العظمى تجاه الدول الصغيرة والأمم المستغلة. إن موقف الحكومة السوفيتية في ما يخص مسألة نزع السلاح هي مواصلة سياسة لينين وتحقيق منهجي لمذهبه.

نضال الطبقة العاملة ضد المنزع السلمي

فقيرة
63

إنّ عمال الاتحاد السوفيتي، الذين انتصروا على البرجوازية في الحرب الأهلية وأرسوا دكتاتورية الطبقة العاملة في بلدهم، بمستطاعهم أن يستخدموا طريقة جديدة تتمثل في أن يقترحوا على الإمبرياليين نزع التسلح نزاعاً عاماً، خلال نضالهم ضد المنزع السلمي هذا السلاح المسموم عند الإمبريالية. لكنّ الطبقة العاملة التي لا تزال تناضل في الدول

الرأسيّة من أجل السّلطة لا يمكنها أن تستخدم هذه الطريقة. فالمقترحات أو المطالب التي يمكن أن توجهها إلى برجوازيّتها وحرسها ليست العمل الثوري بل تعويض شعار تسليح الطبقة العالّية بشعار نزع سلاحها ورفض الحرب الأهليّة والانتصار للاشتراكية. لذا وجب على الشيوعيين أن يجاربوا على النحو الأكثر حيويّة الاستنتاجات الخاطئة من ذلك القبيل المستخلصة من مشروع نزع السلاح الذي قدّمته الحكومة السوفييتيّة؛ فهي استنتاجات تناقض المغزى الثوري لهذا البرنامج، ومن الصّوري مكافئة كلّ انحراف من هذا النوع في صفوف الحزب نفسه.

فقراء
64

إنّ هذا الاختلاف في تطبيق طرق النضال ضدّ المنزع السلمي عند كلّ من الطبقة العالّية في الاتحاد السوفييتي والطبقة العالّية في البلدان الرأسيّة ليس دليلا على تناقض بين هاتين الأخيرتين ولا يجب أن نستنتج من ذلك أن لا يمكن للشيوعيين في البلدان الرأسيّة أن يستخدموا مقترحات الحكومة السوفييتيّة في تحريض الجماهير. بالعكس، يجب استغلال سياسة الاتحاد السوفييتي في نزع السلاح لغاية التحريض بأكثر حيويّة وعلى نطاق أوسع مما جرى عليه الأمر إلى وقتنا الحاضر. لكن يجب استغلاله لا بوضع نفس المطالب الخاصّة ببلده وإنّما بـ:

1. استقطاب أنصار للاتحاد السوفييتي مدافعين عن السلم والاشتراكية؛
2. باستغلال نتائج السياسة السوفييتيّة في نزع السلاح وفضح الإمبرياليين خلال نضالنا لتحطيم كلّ الأوهام السلميّة، وذلك بالدّعاية بين الجماهير لصالح الوسيلة الوحيدة التي يمكنها أن تبلغ نزع السلاح وإلغاء الحرب: تسليح الطبقة العالّية وإسقاط البرجوازيّة وإرساء الدكتاتوريّة العالّية.



نفاذ العمل ومهمان الأحزاب الشيوعية

فقرة 65 لقد أشارت الجلسة العامة الثامنة إلى عدة نقائص وأخطاء عند الأحزاب الشيوعية وحددت جملة من المهمات الملموسة الخاصة التي يجب أن تنجزها جميع الفروع قصد النضال ضد الحرب. تبقى تلك التعاليم مجملها سارية المفعول. ولقد اكتسبنا تجربة منذ الجلسة العامة الثامنة. ويستخلص المؤتمر الشيوعي العالمي السادس من تلك التجربة كل الاستنتاجات الملائمة لعمل الأحزاب الشيوعية في المستقبل.

فقرة 66 إن النقص الرئيسي الذي لا تزال جميع فروع الأمانة الشيوعية غارقة فيه هو الاستنفاص من خطر الحرب واقتربها. إن ذلك بديهي، فجميع الفروع تقريبا لا تعمل بالحيوية التي يتطلبها إنجاز قرارات الجلسة الثامنة الموسعة. حدثان حديثان لها أعظم أهمية - مراسلة إنجلترا سفيرها في مصر وحرب اليابان على الصين - مزا دون أدنى اهتمام وكأنها حادثتين صغيرتين لا معنى لهما أبدا. ونظرا لما هنالك من تقدم سريع نحو اليسار عند الجماهير مما يشير إلى أنها تحس بخطور الحرب، فمن المحتمل أن يجد الشيوعيون أنفسهم في مؤخرة الطبقة العاملة عوض أن يسيروا بها إلى معركة معاداة الحرب. وكثير من الفروع هي تحت تأثير الدعاية البرجوازية والاشتراكية الديمقراطية لصالح «السلم» و«نزع السلاح» و«التحكيم العالمي»، ولا ترى أن الحرب مقترية وتتحت عنها وكأنها هي شيء بعيد جدا.

يظهر الاستنفاص من خطر الحرب، ومن خطر حرب على الاتحاد السوفيتي، على وجه أخص، في عدم فهم الوقائع والمظاهر التي تشخص تحضير الحرب المتواصل. ومثال

ذلك أنّ الرفاق الفرنسيين لم يستشقوا من استدعاء راكوفسكي انخراط فرنسا انخراطاً حاسماً في طريق التحضير الدبلوماسي للحرب على الاتحاد السوفييتي إلا بعد مرور مدة طويلة نسبياً. واعترف الحزب اليوغسلافي بأنه لم يأخذ بالحسبان اقتراب خطر الحرب خلال النزاع الإيطالي-اليوغسلافي. وكثير من الأحزاب الشيوعية في بلدان البلطيق لم تقف، من الوهلة الأولى، على المغزى الحقيقي في طرق تحضير الكنلة المعادية للاتحاد السوفييتي في دول البلطيق (مثل ذلك المحادثات المتصلة بالاتحاد الجمركي بين استونيا وليتوانيا). كلّ تلك الأخطاء التي وقع الاعتراف بها وتصحيحها إنّما تبين كم يكون خطيراً أن تترك الأمور تمرّ دون تتأهب لتدابير تحضير الحرب.

مختارة
67

إنّ أحد أهمّ النقائص في عمل الأحزاب ضدّ الحرب هو ما في طريقتها في النظر إلى هذه المسألة من كثرة التجريد والزمز وحسب السطحية.

تخصر بعض الفروع نشاطها في مداخلات في البرلمانات والاجتماعات العامة والحال أنّ مسألة الحرب يُبت فيها في الكواليس. ولم تعرف أحزابنا بعد كيف تمزج النضال البرلماني ضدّ الحرب بالعمل خارج البرلمان حتّى تمتلك مطالبنا شعبية (لقد انحصر عمل الشيوعيين التشيك فيما تعلق بقضية سانت-غوثنار وفي ما تعلق بنقل الأسلحة إلى الصين في احتجاجات محتشمة في البرلمان وفي الجرائد).

لا تنفصل القضايا الدولية عن قضية الحرب، وكلّها جزء من الصراع الطبقي العام؛ لذا، يجب ربطها بالصراعات الطبقة الداخلية، وخاصة، بالصراعات في مؤسسات الصناعة الحربية بالمعنى الأصلي للكلمة.

تستوجب مكنة القوّات العسكرية وعسكرة الصناعة المرتبطة بالحرب ارتباطاً مباشراً نشاطاً حيويّاً داخل فروع تلك الصناعة وداخل منظماتها النقابية والعالية الأخرى. ولا يوجد إلى حدّ الآن إلا القليل ممّا يدلّ على أنّ الأحزاب الشيوعية قد شرعت بجِدّ في انجاز هذه المهمة الأولى.

دائماً ما تُقدّر قضية الحرب على نحو كبير التجريد، وذلك سبب ما نحن فيه من عجز عن الوقوف موقف محدد في مسائل سياسة الحرب؛ فأحياناً لا تتحرك الأحزاب، أو تتحرك بعد تأخر كبير ضدّ أكاذيب ومعاداة العسكرة عند الاشتراكيين الديمقراطيين الذين غالباً ما يجدون صدى بين الجماهير (مثل ذلك حملة الاشتراكيين الديمقراطيين في ألمانيا حيث قدّموا أنفسهم كـ«معارضين مبدئيين» للحرب)، وأحياناً أخرى تلجأ الأحزاب الشيوعية إلى تفتادى المسائل الملموسة لسياسة الحرب من خلال حمل ذات طابع عام، وعوض أن تتناول المسائل الملموسة، تجدها تكرر شعارات دعائية مجرّدة.

إنّه خاصّة في المسائل المتعلقة بالجيش أين نلاحظ عزوفاً عمّا يمسّ التّصال من أجل المطالب والإصلاحات الجزئية الملموسة التي تضعف، بالفعل، العسكرة (تقليص مدّة الخدمة العسكرية، النضال في يتعلّق تركيبة الجيوش، الخ). لقد وقع التّخلي عن النضال في سبيل الإصلاحات للاشتراكيين الديمقراطيين بالكامل. وهؤلاء الأخيرين لم تقع معارضتهم برنامج سياسي عمالي حقيقي في سياسة الجيش؛ برنامج يرمي إلى إضعاف العسكرة وصياغة مقترحات عملية تتعلّق بتسليح العمال.

إنّ الفروع التي اتخذت التدابير التنظيمية اللازمة لتأدية عمل جيد منتظم ضدّ العسكرة عددها ضئيل. والعمل بين جنود جيشي البرّ والبحر في البلدان الأكثر تهديد بقوتها العسكرية غير كافٍ إطلاقاً. فما لم يفهم هنا بعد أنّ الأمر يتعلّق بعمل جماهيري، وأنّ من اللازم أن تكون هنا وسيلة تحريض ودعاية في الجيش. وفي بعض البلدان يقع النّشاط المعادي للعسكرة بين الشّباب في نطاق ضيق جدّاً، وفي بلدان أخرى يقتصر ذلك النّشاط على المحتّدين دون قاعدة تنظيمية في جماهير الجنود. وإذا كان العمل بين جنود بحريّة البلدان الرأسمالية يجري بحيوية غير كافية فإنّ ذلك يرهن على أنّ هناك استنقاص من دور جيش البحر في الحرب المقبلة. ولم يقع استغلال تأثير العائلات على العسكر في جيشي البرّ والبحر استغلالاً منتظماً في أيّ مكان.

في كلّ مكان هنالك استنقاص من الأهمية الهائلة للعمل بين فلاحيّ الأقليات القومية والمستعمرات. فإنّه لمن الضروري إعطاء العمل في جميع هذه المجالات أكبر اهتمام.

لا يجب أن تقتصر الحملة ضدّ الحرب في الأرياف على المناسبات وكثرة البهجة، بل يجب أن تكون عملاً منهجياً ومنظماً ومرتبطة بالمطالب المباشرة عند الفلاحين الشغيلة. والمهمة الخاصة التي تقوم هنا هي العمل بين شباب الفلاحين. وإتّه لمن مطلق الضرورة أن تولى أهمية خاصة بإقامة صلة تراسل بين القرية الفلاحين في الجيش عن طريق من يتحصّل منهم على رخص مغادرة الثكنة، إلخ؛ إنّ ما يكتسب من تجربة في هذا المجال له أعلى أهمية زمن الحرب.

يجب علينا، فيما يتعلّق بالعمل بين الأقليات القومية، أن ندافع، بأكثر حيوية ممّا كان، عن مطالب الأمم المضطّدة، وأن ناضل ضدّ إذلالها من جانب الإمبرياليين، وأن نقود المنظّمات الوطنية الثورية.

يجب على الأحزاب الشيوعية في البلدان الإمبريالية أن تقيم صلة ثابتة بما يقابلها من منظّمات شيوعية وثقابات في البلدان المستعمرة. ويجب على الأحزاب الشيوعية في البلدان الإمبريالية أن تساند الحركات الثورية في المستعمرات على كلّ نحو. وعلى الأحزاب الشيوعية في كلّ البلدان أن تولي اهتماماً خاصاً بتأليف منظّمات غير حزبية من طراز رابطة معاداة الإمبريالية مثلاً، وأن تألّف جبهة متّحدة من الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية والحركة الوطنية التحرّرية للشعوب المضطّدة للنضال ضدّ الحرب.

لم يقع الدفع بالنضال ضدّ الفاشية على نحو كاف في العديد من الفروع إلى حدّ الآن. فمن الضروري أن تُطوّر أكبر المبادرات استقامة في هذا المجال من جهة الفكر ومن جهة التظاهرات الجماهيرية الثورية ضدّ الفاشية. ويجب أن يُأخذ في الحسبان لا فقط التوجّهات الفاشية البينة، بل أيضاً توجّهات ومنظّمات شبه فاشية تتحرّك تحت راية الديمقراطية أو الاشتراكية الديمقراطية («راية الإمبراطورية» في ألمانيا، والتوجّهات الاشتراكية-الفاشية في قبة البيروقراطيتين الاشتراكية-الديمقراطية والنقابية، الفاشية في المصنع، إلخ). يجب على هذا النضال ضدّ الفاشية أن يكون مرتبطاً على النحو الأكثر متانة قدر الإمكان بالنضال ضدّ الحرب الإمبريالية.

تميّز الفترة الراهنة بموجة جديدة من الدعاية «للسلم» و«نزع السلاح» وبدعاية حادة «لمنع الحرب» من جانب البرجوازية. كما أظهرنا القليل جدًا من التحرك في النضال ضدّ الدعاية البرجوازية «للسلم» وضدّ الدعاية الاشتراكية-الديمقراطية لما يزعم أنه «إمبريالية حمراء» في الاتحاد السوفييتي و«ضدّ البلشفيّة، سبب الحروب». وحتى فضحنا للطابع الحقيقي لفصبة الأمم، التي تقوم بدور رئيسي في خلق الأوهام السلمية عند الجماهير، لم نتم به بما يكفي من منهجية وحيوية.

في معظم الأحوال لم نهم بمهمة الشيوعيين الرئيسية نحو نتائج ندوة جنيف؛ فقد كانت تلك المهمة تقوم على مزج النضال ضدّ الحرب بالدعاية لدكتاتورية الطبقة العاملة وتسليح الطبقة العاملة. وارتكبت في بعض البلدان أخطاء سلمية مثلها إعلان شعار نزع السلاح.

بعد الجلسة العامة الثامنة، لم تعر معظم الأحزاب الانتباه الضروري لنشر طريقة لينين الصحيحة في النضال ضدّ الحرب بين الجماهير. والمسائل الرئيسية في النضال ضدّ الحرب. ولم تدرس المسائل الرئيسية للنضال ضدّ الحرب في الأجهزة النظرية والصحفية للأحزاب بما فيه الكفاية، وخصوصا ما تعلق بتوضيح المسائل الملموسة الجزئية. يجب اعتبار ذلك نقصا كبيرا في عمل الأحزاب نظرا لكون الأمر يتعلق في معظم الحالات بمسائل راهنة واهتمت بها الاشتراكية الديمقراطية اهتماما كبيرا.

لا يزال عمل الأحزاب يشكو من نقص في الوضوح الإيديولوجي في جميع المسائل. وطرح بعض الرفاق (في فرنسا وسويسرا والنمسا) مسألة «الدفاع عن الوطن» مع إيطاليا في حال وقعت الحرب. وأيد آخرون «مقاطعة» محضة وبسيطة لمعسكرات التدريب العسكري (في أمريكا). كلّ هذه الأمثلة من الانحرافات، صحيح أنّ الأجهزة القيادية للأحزاب قد صحّحتها فيما بعد، تبيّن أنّ من الضروري أنّ نخرط في الدعاية الأكثر جدية والأكثر اتساعا، داخل الأحزاب نفسها وبين الجماهير في ذات الوقت، في موضوع خطر الحرب والطرق التي ستستخدم في هذا الصراع.

مهمات التحريض الرئيسية في النضال ضد خطر الحرب وخصوصاً ضدّ إذكاء نار حرب على الاتحاد السوفييتي والتحضير لها هي كما يلي:

1. نظراً لاقترب خطر الحرب يجب أن تكون أن تكون الشعارات الرئيسية: «الدفاع عن الاتحاد السوفييتي» و«مساندة النضال الثوري عند الشعوب المستعمرة والمضطهدة» و«النضال ضدّ الحرب الإمبريالية».

2. يجب على كامل عمل التحريض أن يفضح، باستمرار، مآرب النهب عند مختلف التكتلات الامبريالية في كلّ البلدان. ويجب أن يستهدف، على نحو خاص، الامبرياليين الأمريكيين والامبرياليين الإنجليز الذين يتزعمون تحضير الحرب على الاتحاد السوفييتي، والامبرياليين الإنجليز واليابانيين مدسّنين التدخل العسكري في الصين. وتجب المطالبة بنشر كلّ المعاهدات السريّة وكلّ الاتفاقات العسكرية السريّة.

3. يجب نقد وكشف مقترحات الاشتراكيين-الديمقراطيين التي تدعو إلى «الحدّ من التسلّح» والدّفاع عن بروتوكول جينيف ونظام محكمة تحكيم اجباري.

4. يجب القيام بحملة حيويّة لفضح الدعاية «للسلم الصناعي» والتعاون الطبقي والنقابات المحايدة (غير المتسيّسة) واتحاد الشركة، تلك الدعاية التي يبشّر بها زعماء النقابات الإصلاحية والتي هي بالأساس تخدم تحضير الحرب.

5. يجب الشّروع، منذ الآن، في شرح لماذا يجب على العمّال، أثناء الحرب المقبلة، أن يبتغوا هزيمة وطنهم الإمبريالي. ويجب أن يكون شعار «تحويل الحرب الإمبريالية حرباً أهليّة»، منذ الآن، وقبل أي إعلان حرب، الفكرة الموحّمة في دعايتنا.

6. يجب أن يقوم بالنضال ضدّ التقسيم الإمبريالي للصين كلّ الأحزاب الشيوعيّة في هيئة حملات جماهيريّة عظيمة وفي هيئة نضال ضدّ تدابير القوى العظمى الخاصة، عسكريّة وسياسيّة. ويجب أن يرتبط هذا النضال بالنضال ضدّ خطر حرب إمبريالية جديدة أمتن ارتباطاً.

إنّ أهمّ التدابير، والتي كانت الجلسة العامّة الثامنة قد حدّدت جزء كبيراً منها، هي كما يلي:

- مظاهرات النساء والأطفال في طريق الفرق العسكرية المتوجهة إلى الجبهة وفي مناطق الإقلاع. ومظاهرات النساء والأطفال والقاصرين أمام مبنى البرلمان؛
- التحريض ضدّ الحرب في المنظمات النسائية العمالية والبرجوازية الصغيرة. وطلب ندوات للمندوبين تحت شعار «ضدّ الحرب الإمبريالية»؛
- تجمع النساء أمام المعامل والمصانع وكذلك الأحياء العمالية التي بعثت بمندوبين؛
- استخدام مجالس المندوبين الموجودة حالياً أو التي ستكون كجهاز قازّ يمكن من الحملة ضدّ الحرب الإمبريالية. يجب إنجاز تكتيك الجبهة المتحدة وعمل لجان «لتخفيض الأيدي أمام الاتحاد السوفييتي!» بأكثر وضوح، وجذب النقابات إلى هذه اللجان؛
- يجب خوض النضال، على كامل الخط، ضدّ الفاشية التي تمثل أحد الدروع المسلّحة للثورة المضادة؛
- يجب تأليف منظمات جماهيرية من نوع الاتحاد الألماني لمقاتلي الجبهة الحمراء، في كلّ مكان أمكن فيه ذلك؛
- يجب التحرك ضدّ الفاشية وضدّ الحرب داخل المنظمات الرياضية؛
- يجب استخدام وتقوية المنظمات الطبقة الموجودة لضحايا الحرب بانتظام (تعاونيات، أرامل، إلخ)، للنضال ضدّ الحرب الإمبريالية؛
- يجب على الشباب الشيوعي أن يطور صلة متينة بالحزب، وعملاً أكثر حيوية بين الشباب العمالي والفلاحي حيث يقع انتداب الجنود؛
- يجب أيضاً استخدام مؤسسات رجال التعليم وأولياء التلاميذ وفرق الأطفال الشيوعية؛
- يجب تأليف منظمات جديدة من الأطفال قصد النضال ضدّ التأثير الإمبريالي في المدارس.

فكرة 75
 إنّ تحضير الأحزاب الشيوعية نفسها هي مهمّة على أعلى أهمية. ويجب أن تربي فروع الأمانة الشيوعية بروح التضامن الأممي العميق؛ فذلك شرط لا بدّ منه لتحضير

الأحزاب الشيوعية للحرب. وكذا إرساء الصلة الأكثر متانة بين جميع الفروع قبل بداية الحرب.

سيكون الإرهاب المسلط على كل حركة ثورية وضد الأحزاب الشيوعية أثناء التعبئة التي تسبق الحرب أكثر ضراوة. وسيساق الآلاف والآلاف من العمال الشيوعيين والثوريين إلى مراكز الاعتقال وفق قائمات تُعدّ سلفاً. فالإمبرياليون سيدفعهم الخوف إلى القضاء لا على الأحزاب الشيوعية العلنية فحسب، بل على كامل أجهزة الأحزاب السرية وقياداتها.

يجب على الأحزاب أن تستعدّ لكل ذلك منذ الآن. ويجب على الأحزاب الشيوعية العلنية أن تفكر بكلّ جدية في أن تستعدّ للتراجع إلى العمل غير الشرعي السري في اللحظة التي يتوجب فيها ذلك. ويجب تغيير طرق التنظيم والصلات التنظيمية من الأعلى إلى الأسفل في الوقت المناسب. ويجب تحضير أعضاء الحزب للوضع الجديد الناتج عن التعبئة وبداية الحرب.

فقرة 76 يذكر المؤتمر الشيوعي العالمي السادس بكلمات لينين التالية:

﴿ إن النضال ضدّ الحرب أبعد من أن يكون أمراً يسيراً. إنّه يتطلّب من جميع الأحزاب أن تُخضع نفسها لنقد صارم جدّاً، وأن تراقب ما أنجزته من عمل إلى حدّ الآن بانتظام لتناضل ضدّ خطر الحرب ولتحضير الأحزاب للنضال أثناء الحرب؛ فمن واجبها أن تقف على كلّ ما تقترفه من أخطاء وتصحّحها بسرعة وبكلّ رباطة جأش.﴾

يلزم المؤتمر الشيوعي العالمي السادس كلّ فروع الأُمّية الشيوعية بأن تعطي النضال ضدّ الحرب طابعا أكثر أُمّية، وأن تتخذ التدابير التحضيرية للتنسيق العالمي للتحركات الثورية حتى تكون متأهبة لمواجهة الحرب بالتحركات الجماهيرية العالمية العظيمة لما تحين اللحظة.



النضال ضدّ الحرب الإمبريالية ومهمّة الشيوعيين

- 70.....خطر الحرب الإمبريالية
- 77.....الطبقة العاملة في مواجهة الحرب
- 82.....الطبقة العاملة تناضل ضدّ الحروب الإمبريالية
- 82.....النضال ضدّ الحرب الإمبريالية قبل نشوبها
- 90.....النضال زمن الحرب الإمبريالية
- 95.....حرب العمال الأهلية على البرجوازية
- 97.....الطبقة العاملة تدود عن الاتحاد السوفييتي من الإمبريالية
-الطبقة العاملة تدود عن الحروب الوطنية الثورية للشعوب المضطّدة ضدّ الإمبريالية وتخوضها
- 102.....
- 108.....الطبقة العاملة والجيش
- 109.....موقف الطبقة العاملة من الجيش في الدول الإمبريالية
- 116.....المسألة العسكرية زمن الثورة العاملة
- 118.....موقف الطبقة العاملة من الجيش في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة
- 123.....الطبقة العاملة أمام مشكل نزع السلاح والنضال ضدّ النزعة السلمية
- 124.....برنامج نزع السلاح الاشتراكي الديمقراطي واللينينية
- 126.....المشروع السوفييتي لنزع السلاح
- 127.....نضال الطبقة العاملة ضدّ المنزع السلمي
- 129.....نقائص العمل ومهمّات الأحزاب الشيوعية

الكتاب التالي

أعمال المؤتمر الشيوعي العالمي السادس - الجزء الثالث

أطروحات

في الوضع العالمي ومهمات الأُمِّيَّة الشيوعيَّة

﴿تدعو الأُمِّيَّة الشيوعيَّة كلَّ الشَّغيلة إلى العمل الدِّفاعي. منذ اليوم، يجب توحيد صفوف المقاتلين اليوم تلو اليوم ودون كلل. منذ اليوم، يجب أن نَجْمع الجماهير، وأن نرسل بأوفى الدِّعاة من الطبقة العماليَّة إلى جنود الجيوش والأساطيل، للاستعداد للسَّاعة التي يعطي فيها الإمبرياليون إشارة الخزي لتقاتل العمال. ففي تلك اللحظة، يجب أن تدور المدافع الثَّقيلة حول محاورها فتوجّه فوهاتها صوب رؤوس الإمبرياليين. فلا خير من ذلك المرمى في الحرب الإمبرياليَّة.﴾

المؤتمر الشيوعي العالمي السَّادس، البيان، 1928